كتابي لفقد آبائي وأبنائي

الصبر على المصيبة

فالأجر عليهما بلا ريبة

جمع وتأليف

الفقير لعفو ربه

د. على بن سعد آل زحيفة الشهراني الخثعمي

السعودية خميس شهران

٢٠٢٣ م ـ ١٤٤٤ هـ



اللَّهُمَّ صبّرني لفقدِ أهلي وفلذتي كبدي

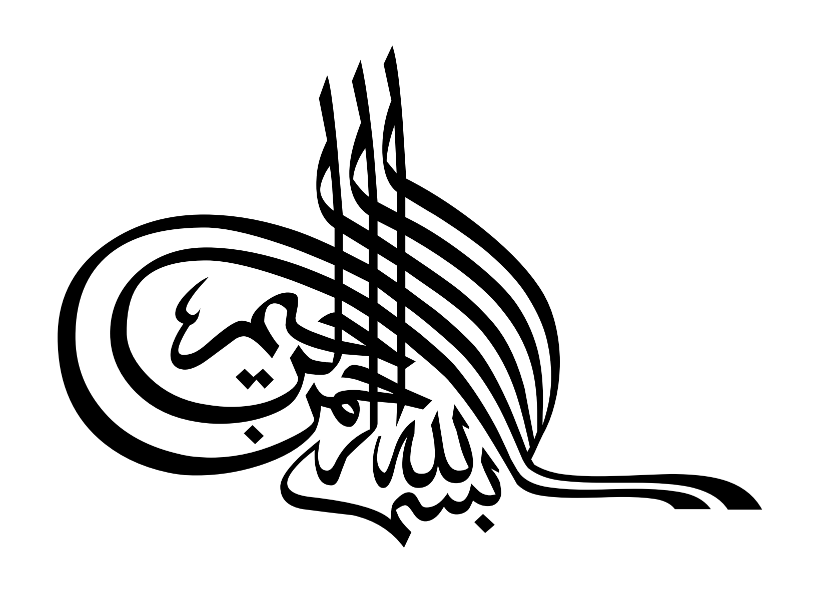
جمع وإعداد

علي بن سعد آل زحيفة الشهراني

السـعودية

خميس شهران




بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾

[فصلت: ٣٥].

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾

[العصر ١-٣].

صدق الله العظيم

المقدمة

الحمدُ لله المنفردِ بالبقاء الذي كتب علينا الفناء، الواحد الأحد ذي العزة والجبروت، له المُلك في الأرض وفي السماء، لا شريك له فيـــداري، ولا ندّ له فيباري، كتبَ الفناء على أهل الأرض والسماء، وجعل الجنةَ للمتقين، والكافرين لهم النار، جعل للصابرين الدرجات، وللمسيئين الدَّرَكاتِ، الذي خلق السماوات بغير عمدٍ، وبسطَ الأرضَ على ماءٍ جَمَد. ونشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي خلق السماوات والأرضَ، له المُلْكُ وله الحمدُ، ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾[الروم، الآية: ١٩].

ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله أَعْلَمُ البشرِ بِخَشْيَتِه، وأَنْصَحُهم لأمته، وأَشْكرُهم على نعمته، وأَصْبرُهم على مصيبتِه، وأعلاهم وأعظمُهم عند الله منزلةً. بعثَه الله بالرسالة مناديًا، فدعا إلى الجنّةِ، وأرشدَنا إلى السُّنّةِ، وحذّرنا مِنَ النار، وحثنا على الخوفِ من الجبّارِ، فصلِّ الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

عَـلَـيْـكَ صَــلَاةُ اللهِ مَـا أَظْـلَـمَ الـدُّجَـا وَمَا لاحَ نُورُ الشَّــمْسِ وَالبَرْقُ أَوْمَضَــا

أما بعد؛

فإنّ اللهَ جعلَ الموتَ مكتوبًا على جميع الخلق في السماء والأرض، مِن الإنس والجان وجميع الحيوان، فلا مفر لأحد ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾[الرحمن، الآية: ٢٦]. سَاوَى فيه بين الحاكم والمحكوم، والذكر والأنثى، والغني والفقير، وكل شيءٍ عنده بتقديرِ ربِّ السماوات والأرض العلي القدير، فالمؤمنُ دومًا يتحلّى بالصبر وله الأجر والثواب، ومَن غضبَ واستنفر فله العذاب والعقاب.

وكتابي هذا ما قمت به إلا عن مصيبةٍ قد كتبها الله عليَّ وعلى عشيرتي؛ فلقد فقدتُ الجدَّ لحزنٍ كبيرٍ أصابَه، وذلك في فقد أبنائه، حينَ فقدتُ أبي ودمُه يسيلُ، وقد قال الشاعر مسلم بن الوليد:

يَجُوْدُ بالنَّفْسِ إنْ شحَّ البخيلُ بها   والجُوْدُ بالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الجَودِ

ثم فقدتُ الأخَ الأكبر بحادثٍ أليمٍ، ثم فقدتُ العمَّ شقيقًا لوالدي ودمه كذلك يسيل. وهؤلاء كلهم خلال سنتين، ثُمَّ فقدت ابني الأكبر محمد رحمه الله في ١٠/ ١٠/ ١٤٢٨هـ فلذةَ كبدي، وكان على وشك التخرّجِ في العلم الشرعي في الجامعة، وهو في ريعان شبابه، في الثالثة والعشرين من العمر وكانت وفاته بحادث سيارة وهو صائم على طريق مكة – جدة ، ثم فقدتُ أحدَ أفضل أصدقائي الذي هو في مكانةِ والدي، ألا وهو الشيخ/ سعيد بن ناصر الشريف، ثم فقدت ابني مالك بعد أن حصل على الثانوية وقد وقع عليه حادث سير بين مدينة أبها والخميس وكان ذلك في ٢١/ ٧/ ١٤٣٣هـ

ولذلك يقول الشاعر ناصيف اليازجي:

المـــوتُ يختارُ النفيسَ لنَفسِهِ   كما نختارُ نحنُ، فما اعتـــــــــــدى

قدْ نالَ منا درةً مكـــــــــنونةً   كانتْ لبهجتِها الدّرارى حُســّــدًا

كنزٌ ذخرناه لنــَــا، فاغتــاله   الموتُ المحققُ خاطفًا مُتمـــــــــردًا

وتلك لعمري من أكبر المصائب التي مرت بي وبعشيرتي، والحمد لله على قضاء الله وقدره، وعلى حكمه وأمره، فإنما الصبر عند الفجعة الأولى، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. نسألُ اللهَ سبحانه

وتعالى أن يقبل أجرَ هذا الكتاب وثوابه لأهلي وصديقي، فإنّما فقدُنا من الأهل والولد والأصدقاء لشيءٌ عظيمٌ، أسألُ اللهَ سبحانه وتعالى أنْ يرحمَهم ويرحم موتى المسلمين، وألّا يحرمنا الأجرَ والثوابَ، وألّا يجعل مصيبتَنا في ديننا.

وما علينا إلا أنْ نستسلمَ للقضاءِ: خيرِه وشرِّه فقد قال تعالى﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [فاطر، من الآية:١١].

وقال تعالى:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة، الآيات: ١٥٥ - ١٥٧].

وعن عبد الله بن مسعودﷺ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ عزَّى مُصابًا، فلهُ مثلُ أجرِه»[١].

وعن أبي برزة ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: «مَنْ عزَّى ثَكْلَى كُسِيَ بُردًا في الجنّةِ»[٢].

وعن عمرو بن حزم ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مَا مِن مؤمن يُعزِّي أخاه بمصيبة، إلا كسَاهُ اللهُ ﷻ مِنْ حُلَلِ الكرَامةِ يومَ القِيَامةِ»[٣].

وقال الشاعر راشد الخلاوي في القرن الثامن الهجري:

ثمانيـــةٌ لَا بُدَّ مِنْهَا عَلى الفَتى وَلَا بُدَّ أَنْ تَجْرِي عَلَيْهِ الثَّمانيـه:

سُرورٌ وَهَـــمٌّ، واجتماعٌ وفرقةٌ وعُسْـــرٌ ويُسْرٌ، ثُمَّ سقمٌ وعَافيه

---

(١) سـنن ابن ماجه (المتوفى: ٢٧٣هـــ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ١/ ٥١١، رقم الحديث (١٦٠٢).

(٢) سنن الترمذي (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨ م، ٢/ ٣٧٨، رقم الحديث ١٠٧٦.

(٣) سنن ابن ماجه ١/ ٥١١، رقم الحديث (١٦٠١).

وقد اختصر أبو العتاهية الدنيا في ستة أبيات شعرية، فتأملوها:

نأتي إلى الدنيا ونحن سواسية ... طفلُ الملوكِ كمثلِ طفل الحاشية

ونغادر الدنيا ونحن كما ترى ... متشابهون على قبور حافية

أعمالنا تُعلي وتَخفض شأننا ... وحسابُنا بالحق يوم الغاشية

حور، وأنهار، قصور عالية ... وجهنمٌ تُصلى، ونارٌ حامية

فاختر لنفسك ما تُحب وتبتغي ... ما دام يومُك والليالي باقية

وغدًا مصيرك لا تراجع بعده ... إما جنان الخلد وإما الهاوية

(نسأل الله حسن الخاتمة)

إن المؤمن الواثق لا يفقد صفاءَ العقيدةِ ونورَ الإيمان وإنْ هو فقد من صفاءِ الدنيا ما فقد. أما الإنسان الجزوع فإنَّ له من سوءِ الطبعِ ما ينفره من الصبر، ويضيّق عليه مسالك الفرج إذا نزلت به نازلةٌ أو حلت به كارثةٌ، ضاقت عليه الأرضُ بما رحبت، وتعجّل في الخروج متعلقًا بما لا يضره ولا ينفعه فضاقت به نفسه يلعن ويسب ويسخط، يضيع بذلك أجرة المصيبة وثوابها وهو مع ذلك لا يستطيع رفعها، إن ضعف اليقين عند هؤلاء يصدهم عن الحق ويضلهم عن الجادة، إنَّ أي مخلوقٍ مهما بلغ من عزةٍ أو منزلةٍ فلن يستطيع قطع رزق، أو رد مقدورٍ أو انتقاصًا من أجل، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الروم:٤٠].

فآمنوا بالله واصبروا على قضاء الله وقدره، وافزعوا إلى ما أرشدكم إليه نبيكم حيث قال:"ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي

واخلف لي خيرًا منهـا، إلَّا أجره الله في مصـيبته وأخلف له خيرًا منها "[1]، فيا أيها المؤمنون كم من محنة في طيها منحٌ ورحماتٌ، ها هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام يضرب المثل في الرضا عن مولاه والصبر على ما يلقاه صبرًا جميلًا، يقول لأبنائه: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨].

ثم يقول في البلاء الثاني وهو أعظم أملًا وبربه أكثر تعلقًا ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾[يوسف: ٨٣]. كل هذا من الشيخ الكبير صاحب القلب الوجيع، ثم قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [يوسف: ٨٦]، وقد بلغ من يقينه وقوة رجائه أن أمر أبناءه ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

والناس إزاء هذه الحقيقة الخلقية القدرية الكونية صنفان: قوم قابلوا أقدار الله تعالى بالسخط والضجر والجزع، فخسروا دينهم وأضاعوا دنياهم، فلذلك لا يرفع خطبًا ولا يكشف كربًا بل هو صنفٌ آثم مذنب، وقوم إذا نزلت بهم نازلة تذكروا قول الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن: ١١].

وفي حديث عن أبي سعيد مرفوعًا، قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِّ وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللهِّ أَوْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط -عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ -٢٠٠١م، ٤٤/ ٢٤٧، رقم الحديث (٢٦٦٣٥).

اللهُ، وَرِزْقُ اللهِّ لَا يُغَيِّرُهُ حِرْصُ حَرِيصٍ وَلَا يَرُدُّهُ كُرْهُ كَارِهٍ، فَإِنَّ اللهَّ بِجَلالَتِهِ وَحِكْمَتِهِ جَعَلَ الرُّوحَ وَالْفَرَحَ فِي الْيَقِينِ وَالرِّضَا، وَجَعَلَ الْغَمَّ وَالْحَزَنَ فِي الشَّكِّ وَالسَّخَطِ "[1].

إن من فقد الثقة بربه اضطربت نفسه، وساء ظنه، وكثرت همومه، وضاقت عليه المسالك، وعجز عن تحمل الشدائد، فلا ينظر إلَّا إلى مستقبل أسود ولا يترقب إلا الأمل المظلم. فيا أيها المسلم تيقن أن الله هو العالم بشؤون خلقه يعز من يشاء ويذل من يشاء، يخفض ويرفع، ويعطي ويمنع، وهو أغني وأقنى، وهو أضحك وأبكى، وهو أمات وأحيا.

إن المؤمن لا تبطره نعمة، ولا تجزعه شدة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عجبًا لأمر المؤمن إنَّ أمره كله له خيرٌ، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإنْ أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له"[2]. بهذا يصح الخبر عن المصطفي صلى الله عليه وسلم. فاتقوا الله يرحمكم الله واصبروا واثبتوا وأمّلوا.

واعلموا أن عظم الأجر مع عظم البلاء وأن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فعليه السخط، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة"[3].

بهذا جاءت الأخبار عن المصطفى المختار صلى الله عليه وسلم. إن الابتلاءات في هذه الدنيا مكفرات للذنوب، حاطةٌ للخطايا، تقتضي معرفتها الإنابة إلى الله تعالى، والإعراض عن خلقه، وهي رحمة وهدى وصلواتٌ من المولى الكريم، قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ﴾ [البقرة: ١٥٧].

---

(١) ضعيف الجامع الصغير وزيادته للألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، ١/ ٢٩١، رقم الحديث ٢٠٠٩، حكم الألباني: ضعيف.

(٢) صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٤/ ٢٢٩٥، رقم الحديث (٢٩٩٩).

(٣) سنن الترمذي ٤/ ١٧٩، رقم الحديث (٢٣٩٦).

واعلموا أننا أشد الناس حاجة إلى الصبر، فإن الباطل انتعش وكثر دعاته وأعوانه، من المنافقين والعلمانيين والكفرة والملحدين، وقد أرشدنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: "... فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيها مثل القبض على الجمر للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله"[1].

فاتقوا الله ربكم وأحسنوا الظن به، وأملوا فيما عنده واعملوا صالحًا ثم صلوا وسلموا على البشير النذير والسراج المنير كما أمركم بذلك ربكم.

إن لله على عبده عبادتين: عبادة في رخائه، وعبادة في بلائه، فعبادة الله في الرخاء شكر نعمة الله عليه بقلبه ولسانه وجوارحه، وعبادته في البلاء والضراء: بأن يكون صابرًا، صابرًا على البلاء، محتسبًا ذلك، وأعلى من ذلك أن يكون راضيًا بما قضى الله له وقدر، يعلم أن قضاء الله تعالى مبني على كمال علم الله تعالى وكمال رحمته، وكمال حكمته تعالى، فهو يرضى بقضاء الله وقدره ويعلم أن الكل من عند الله وأن الله أرحم الراحمين؛ أرحم به من أمه الشفيقة عليه، إن الصبر نصف الإيمان، فالإيمان صبرٌ وشكر، فالمؤمن صابر في ضرائه شاكرٌ في رخائه "عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خيرٌ، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له ".

إخواني، إن في هذه الدنيا مصائب رزايا ومحنا وبلايا، آلامٌ تضيق بها النفوس، ومزعجات تورث الخوف والجزع، كم ترى من شاكٍ وكم تسمع من لوامٍ يشكو علة وسقمًا، أو حاجةً وفقرًا، متبرمًا من زوجه وولده، لوامًا لأهله وعشيرته، ترى من كسدت تجارته وبارت صناعته، وآخر قد ضاع جهده ولم يدرك مرامه، وآخر ابتلى بالديّن أو المرض، تلك هي الدنيا، تضحك وتبكي، وتجمع وتشتت، شدةٌ ورخاء، دار غرور لمن اغترّ بها، تتنوع فيها الابتلاءات وألوان الفتن ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

---

(١) سنن ابن ماجه ٢/ ١٣٣٠، رقم الحديث (٤٠١٤).

إن من آمن بالله تعالى وعرف حقيقة دنياه، وطّن نفسه على احتمال المكاره وواجه الأعباء مهما ثقلت، وحسن ظنه بربه، وأمل فيه جميل العواقب وكريم العوائد، كل ذلك بقلبٍ لا تشوبه ريبةٌ ونفسٍ لا تزعزعها كربةٌ، مستيقنًا أن بوادر الصفو لا بد آتيةٌ: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران: ١٨٦].

إن أثقال الحياة وشواغلها لا يطيق حملها الضعاف المهازيل. لا ينهض بأعبائها إلا العمالقة الصابرون أولو العزم من الناس. أصحاب الهمم العالية. يقول عليه الصلاة والسلام: "أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه"[١].

إن الله سبحانه جعل الصبر جوادًا لا يكبو، وصارمًا لا ينبو، وحصنًا لا يهدم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة فلم يبلغها بعمل، ابتلاه الله في جسده أو ماله أو ولده ثم صبر على ذلك، حتى يبلغ المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل"[٢].

وقد أثنى الله سبحانه على أهله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

وأوجب سبحانه للصابرين محبته فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وأخبر أنه خير لأهله فقال: ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ﴾ [النساء: ٢٥]، وقال: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦]، ووعدهم سبحانه بعظيم الأجر فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ

(١) صحيح الجامع الصغير وزياداته لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، ١/ ٢٣٠، رقم الحديث (٩٨٨).

(٢) المعجم الكبير، للطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢، ٢٢/ ٣١٨، رقم الحديث (٨٠١).

أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [الزمر: ١٠]. وقد أخبر النبي أنه خير ما يُعطاه العبد، فقال: "وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر"(١).

ويقول عمر رضي الله عنه عن الصبر: (وجدنا خير عيشنا في الصبر)، ويقول علي بن أبي طالب: (الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، إلَّا إنه لا إيمان لمن لا صبر له).

عباد الله، إن الصبر ضرورةٌ حياتية قبل أن يكون فريضة دينية شرعية، فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر، فلا تحقق الآمال ولا تنجح المقاصد إلا بالصبر، فلولا الصبر ما حصد الزارع زرعه، وما جنى الغارس ثمره، ولا حصل الساعي قصده، فكل الناجحين في الدنيا بمقاصدهم إنما حققوا آمالهم بالصبر، استمرؤوا المرّ واستعذبوا العذاب، واستهانوا بالصعاب ومشوا على الشوك، ووطنوا أنفسهم على احتمال المكاره دون ضجر، وانتظار النتائج دون ملل، ومواجهة العقبات دون كلل، مضوا في طريقهم غير وانين ولا متوقفين، حاديهم في سيرهم: "من صبر ظفر"، وشاعرهم يهتف مرددا:

إني رأيت وفي الأيام تجربة ... للصبر عاقبةٌ محمودة الأثر
وقلّ من جد في أمر يحاوله ... واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

فالصبر طريق المجد وسبيل المعالي، و الرفعة في الدنيا لا تنال إلا بركوب المشاق وجرع الغصص، من اختطّ طريقًا يبلغ به أمانيه غير هذا فقد أخطأ الطريق وضلّ السبيل.

أيها المؤمنون، لن تنال ما ترجوه من فضل الله ورحمته وعظيم منّه وعطائه بمثل الصبر، وهذا سر احتفاء القرآن الكريم بالصبر، حتى ذكره الله تعالى في كتابه في نحو تسعين موضعًا. إنكم محتاجون إلى الصبر عند فعل ما أمركم الله تعالى به، وعند ترك ما نهاكم الله عنه، وعند حلول الكرب ونزول الضيم والبلاء والصبر على الدعوة إلى الله وتحمل المشاق، فالصبر لازم لكم إلى الممات، صبر على طاعة الله، وصبر عن معاصي الله، وصبر على أقدار الله: أما الصبر على طاعة

---

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ. ٢/ ١٢٢، رقم الحديث (١٤٦٩).

الله تعالى فذلك لأن النفس جبلت على حب الراحة والدعة والكسل والعجز، فحملها على فعل ما أمر الله به يحتاج إلى صبر ومجاهدة وتحمل ومعاناة، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلًا عبادة تحتاج إلى صبر، لذلك أمر الله بالصبر عنده: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ ﴾ [لقمان: ١٧].

والصلاة فريضة متكررة تحتاج إلى صبر وجهد، قال تعالى: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢ ﴾ [طه: ١٣٢]. وعشرة المؤمنين والإبقاء على مودتهم والإغضاء عن هفواتهم خصال تحتاج إلى صبر ومصابرة، لذا قال الله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾ [الكهف: ٢٨].

فالعبادة بشتى صورها وصنوفها تحتاج إلى صبر ومجاهدة، ولذلك جعل الله الصبر سببا لدخول الجنة، إذ إنه هو الذي يحمل على فعل الطاعات، قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤ ﴾ [الرعد: ٢٤]. وقال ابن القيم عنهم:

صبروا قليلا فاستراحوا دائما ... يا عزة التوفيق للإنسان

...

أما النوع الثاني من الصبر فهو الصبر على الشهوات والملذات، وذلك أن النفس ميالة إلى الآثام، تواقة إلى الشهوات، فإن لم تلجمها بلجام التقوى وتحكمها بحكمة الصبر وقعت في الآثام وتلطخت بالأوزار، فالإعراض عن الملاهي والإدبار عن الشهوات لا يأتي إلا لمن تدرّع بلباس المجاهدة والصبر، ولا يلقاها إلا الصابرون.

أيا صاحبـــي أن رمت أن تكسب العـــلا وترقى إلى العلياء غـــــير مزاحــــــم

عليك بحسن الصــــبر في كل حالـــــة فما صـــابر فيما يـــروم بنـــــــادم

أما ثالث أنوع الصبر التي يحتاجها العبد فهو الصبر على أقدار الله تعالى، ألا وإن من أعظم الصبر، الصبر على قضاء الله وهذا النوع من الصبر لا غنى للإنسان عنه، فإنه إذا استحكمت الأزمات وتعقدت حبالها، وترادفت الضوائق، وطال ليلها وادلهمت الخطوب والنكبات واشتد أوارها، فالصبر خير مطية يركبها العبد لتخطي تلك الظلمات، وهو وحده الذي يخرجك من تلك الظلمات وينجيك من تلك المدلهمات، فالدنيا مليئة بالغصص والمنغصات، قال تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ [البلد: ٤]، فمن ذا الذي لا يشكو غمًا ولا يحمل همًا ولم تطرقه الدواهي وتغشاه الكروب، فهي كما قال الشاعر أبو الحسن التهامي:

جُبلت على كدرٍ وأنت تريدها صـــفوًا من الأقذار و الأكدار

وصبرك على جيرانك وأقربائك وما يحدث لك من مشاكل ومضايقات بسببهم أو منهم يعد أسمى الصبر وعلوه وصبرك على حاكم ظالم وكذلك صبرك على قتل أبنائك وأقاربك أمامك في مظاهرات تطالب بحق مشروع يعد من أسمى وأرفع آيات الصبر.

الصبر على أذى الجار:

ورُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره. فقال له: "اذهب فاصبر" فآتاه مرتين أو ثلاثًا. فقال: "اذهب فاطرح متاعك في

الطريق". ففعل. فجعل الناس يمرون ويسألونه. فيخبرهم خبره. فجعل الناس يلعنونه: فعل الله به وفعل. فجاء إليه جاره فقال: ارجع، لا ترى مني شيئًا تكرهه"[1].

وهذا يدل على حرص النبي صلى الله عليه وسلم على الصبر على أذى الجار فقد نصح هذا المتأذي من جاره بالصبر مرتين أو ثلاث فما أعظمها من صفة، وما أعظمه من صبر!

الصبر على الحاكم الظالم:

وهذا الصبر لشديد على النفس البشرية لما فيه من ظلم الحاكم وأعوانه، فقد يؤخذ الابن من بين أحضان والديه في جنح الظلام ويزج به في غيابات السجون بدون ذنب يذكر أو بسبب التزامه بالدين، ولا يملك الآباء والأمهات من أمرهم شيئًا يفعلونه إلا الصبر، فعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها. قالوا: يا رسولَ الله كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: تؤدّون الحق الذي عليكم وتسألون اللهَ الذي لكم"[2].

فقد أخبر النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنّ الأمراء يظلمون ويفعلون أمورًا منكرة، ومع هذا أمرنا أن نؤتيهم الحقَّ الذي لهم، ونسأل اللهَ الحقَّ الذي لنا وهذه وصيةٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر على ظلم الحكام.

وقد يقتل الابن أو الأقارب بدون وجه حق في مظاهرات تطالب الحاكم الظالم بالعدل كما حدث في البلاد التي قامت بها الثورات التي تطالب بالعدل والإنصاف والمساواة فقد نفقد

(١) سنن أبي داود ٧/ ٤٦٢-٤٦٣، رقم الحديث (٥١٥٣).

(٢) صحيح مسلم ٣/ ١٤٧٢، رقم الحديث (١٨٤٣).

الأبناء والأحباب والأخلاء والأقارب في هذه المظاهرات وأكرر هنا أيضًا أننا لا نملك إلا الصبر.

وقد رُوي عن ابن عفان، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا أبي قال: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن شمر بن عطية، عن أنس، قال: " إنها نبوة ورحمة، ثم خلافة ورحمة، ثم ملك عضوض، ثم جبرية، ثم طواغيت ".

وروي أيضًا عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها إذا ثم تكون ملكا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة" ثم سكت [1].

ولقد عزمتُ على تسمية كتابي هذا:(الصَّبْرُ على المصيبة، فالأجر عليهما بلا ريبة) جامعًا فيه م من الموضوعات مَا يلي:مَعْنَى الصَّبْرِ (لُغَةً وَحقيقةً) وأَنْوَاعَ الصَّبْرِ وشروطِه في الإِسْلاَمِ. ثم آَيَاتِ الصَّبْرِ في القرآنِ الكريم. ثم أحاديثَ الصَّبْرِ في السُّنَّةِ النبويّةِ،نماذجَ مِن صبرِ الصحابة والتابعين والسلف الصالح، ومَا يكشفُ الكربةَ عند فَقْدِ الأَحبّةِ، ثم أَجْمَلَ مَا قِيلَ فِي الرِّثاءِ والصَّبرِ مِنَ الأَشْعَارِ،ثم فَصْلٌ في الجنازة وصفةِ صلاتها، والدعاء للميّتِ.

علي بن سعد آل زحيفة الشهراني الخثعمي

السعودية/ خميس شهران

(١) مسند الإمام أحمد ٣٠/ ٣٥٥، رقم الحديث (١٨٤٠٦).

الموت خير واعظ



الإنسان يتعظ حين يرى الملوك والناس جميعًا يحصدهم الموت الذي لا يترك أحدًا ملكًا كان أو عير ملك، وهذه صورة تدل على رحيل بعض ملوكنا الذين سبقونا إلى رحمة الله تعالى ومغفرته.

مـلـوكٌ خـلـفـوا الـدنـيـا وراحـوا	إلـى مـلـكٍ يـمـيـتُ ولا يـمـوتُ
فـيـا مـنْ غُـرَّ بـالـدنـيـا تـفـكـرْ	فـإنَّ مـطـامـع الـدنـيـا تـفـوتُ
وخــذ قــوتًــا مــن الأيــام زادًا	وتــقــوى الله خــيــر الــزادِ قــوتُ

الفصل الأول

الصَّبرُ

ومعناه لغةً وحقيقة

أولا: معنى الصبر في اللغة :

الصبرُ لغةً: جاء في (الصحاح)، مادة (صبر): «الصَّبْرُ: حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الجزعِ، وصَبَرْتُه أنَا: حبستُه، قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف، الآية: ٢٨].

- وقال عنترة يذكر حربًا كان فيها:

فَصَبرتُ عَارفةً لِذلك حُرّةً ... تَرْبُو إذا نَفْسُ الجَبانِ تَطَلَّعُ

يقولُ: حبستُ نفسًا صابرةً. وصَبَرتُ الرجلَ: إذا حَلَّفْتُه صبرًا أو قَتلتُه صبرًا. يُقالُ: قُتِلَ فلانٌ صبرًا وحلَفَ صبرًا: إذا حُبِسَ على القتلِ حتى يُقْتَلَ أو على اليمينِ حتى يَحْلِفَ».

- أما الصبرُ حقيقةً فهو ـ كما عرفه الشريف الجرجاني: «ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله إلا إلى الله؛ لأن الله تعالى أثنى على أيوب بالصبر بقوله: ﴿إنَّا وَجَدْنَاهُ صابرًا﴾ معَ دُعائِه في دفع الضرِّ عنه، بقولِه: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[الأنبياء، الآية: ٨٣]»[1].

- وَسُئِلَ الجُنَيْد عَنِ الصَّبرِ، فَقَالَ: «هُوَ تجرُّعُ المرارةِ مِنْ غيرِ تعبيس».

- وقال ذو النون: «الصَّبْرُ: التباعد عن المخالفات، والسكونُ عند تجرُّعِ غَصصِ البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة».

(١) كتاب (التعريفات) للشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ١/ ١٣١.

- وقال ابن عطاء: «الصبر: الوقوف مع البلاء بحسن الأدب».

- وقيل: «هو الفناء في البلوى بلا ظهور شكوى».

- وقال أبو عثمان: «الصبَّار: الذي عوَّدَ نفسه الهجوم على المكاره».

- وقال عمرو بن عثمان: «الصبر: هو الثبات مع الله سبحانه وتعالى، وتلقِّي بلائه بالرحب والدعة».

- وقال الخوَّاص: «هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة».

- وقال رُوَيم: «الصبر: ترك الشكوى».

- وقال ذو النون: «الصبر: هو الاستعانة بالله تعالى».

- وقال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه «الصبر: مطية لا تكبو».

- وقِيلَ: «الصَّبرُ أنْ لا تفرّقَ بين حَالِ النّعمةِ وَالمحنةِ، مَعَ سُكونِ الخَاطرِ فِيهِمَا. والتّصبُّر: هو السكونُ، مَعَ البَلاءِ مَعَ وجدانِ أَثْقَالِ المحنةِ».

- وقيل: «المُصَابرةُ: هِيَ الصّبرُ على الصّبرِ، حَتّى يستغرقَ الصّبرُ في الصّبرِ، فيعجز الصّبرُ عَنِ الصّبرِ»[1].

(١) الرسالة القشيرية، لعبد الكريم القشيري، تحقيق د. عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة ١/ ٣٢٥-٣٢٨.

الفصل الثاني

أنواعُ الصبر

وشروطه في الإسلام

- للصَّبرِ ثلاثةُ أنواعٍ، هي:

أ-صبرٌ على المُصيبةِ (الصَّبْرُ على المقدورِ).

ب-صبرٌ على طاعةِ اللهِ (الصَّبْرُ على المأمور).

ج-صبرٌ عَنْ معصيةِ اللهِ (الصَّبْرُ عَن المحظور).

- وقد اختلفوا في أيِّهم أفضل[1]؟

قيل: الصبرُ على الأوامر والنواهي (وهو الصبر المتعلق بالتكليف) أفضل مِن الصبر على المقدور؛ لأن الصبر على المقدور يتساوى فيه الجميع، فيأتي به البَرُّ والفاجر والمؤمن والكافر، ولا بُدَّ لكلِّ أحدٍ فيه مِنَ الصبر عليه: اختيارًا أو اضطرارًا.

ثُمَّ اختُلِفَ بعد ذلك في أيِّ الصبرين أفضل وأحبّ إلى الله: صَبْرُ مَنْ يصبرُ على أوامرِه، أم صَبْرُ مَن يصبرُ عَن محارمِه؟

فقالت طائفةٌ: الصبرُ عَن المخالفاتِ أفضل لأَنَّهُ أشقُّ وأصعبُ، ولا يصبرُ عَن المخالفاتِ إلا الصديقون، ولأنَّ الصبرَ عَن المحرّماتِ صبرٌ على مخالفةِ هَوى النَّفْسِ، وهو أشقُّ شيءٍ وأفضلُه. ولأنَّ المتصبِّرَ فيها يتغلّبُ على أعداء أربعة: نفسِه، وشيطانِه، وهواه، ودنياه.

وقالت طائفةٌ أخرى: بل إنَّ الصَّبْرَ على فعل المأمور أفضلُ مِنَ الصبر على تركِ المحظورِ؛ لأنَّ فِعْلَ المأمورِ أحبُّ إلى الله مِن ترك المحظور، وذلك لأسبابٍ، منها: أنَّ فِعْلَ المأمورِ مقصودٌ لذاتِه، فإنَّ معرفةَ الله وتوحيده ومحبته ورضاه هو الغايةُ التي خلق الله لها الخلق. ومنها: أنَّ المأمورات متعلّقةٌ بذاتِ الله، وأمَّا المنهيّات فمتعلقةٌ بذوات الأشياء المنهيّ عنها، وفرقٌ بين الأمرين مِن أعظمِ مَا يكونُ.

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، للإمام ابن قيم الجوزية، دار ابن كثير، دمشق، ط٣، ١٤٠٩هـ، ١/ ٣٦.

- **وَقَالَ بعضُهم**: الصبرُ على أقسامٍ:

صَبْرٌ على مَا هو كسبٌ للعبدِ، وصبرٌ على مَا ليس بكسبٍ له.

فالصبرُ على المكتسبِ على قسمين:

صبرٌ على مَا أمر الله تعالى به، وصبرٌ على مَا نَهى عنه.

وأمَّا الصبرُ على مَا ليس بمكتسبٍ للعبدِ: فصبرُه على مقاساةِ مَا يتّصل به مِن حكمِ اللهِ فيما ينالُه فيه مشقة.

- أما ابن أبي الدنيا فيقول: «وجدت في بعض الحكمة: الصبر على عشرة وجوه: الصبر عن المعاصي، والصبر على الفرائض، والصبر على الشبهات، والصبر على الفقر، والصبر على الأوجاع، والصبر على المصائب، والصبر على أذى الناس، والصبر عن الشهوات، والصبر عن فضول الكلام، والصبر على النوافل. وكل عمل من هذه الوجوه تعمله وهو شاقٌّ عليك فأنت فيه صابر، وكل عمل تعمله منها وليس فيه مشقة فليس ذلك من باب الصبر، ويكون ذلك من حسن المعونة من الله سبحانه لعبده، كفاه مؤنةَ المشقّةِ وأَذَاقَهُ حلاوةَ المعونةِ»[1].

- وقسَّمَه غيرُهم باعتبار الأحكامِ الخمسةِ إلى: واجبٍ، ومندوبٍ، ومحظور، ومكروه، ومُبَاحٍ. وأفاضَ الإمامُ ابن قيم الجوزيّة في بيانِ ذلك مع ضرب أمثلةٍ لكلِّ نوعٍ، بما لا مزيدَ عليه[2].

- وللصبرِ شروطٌ عدّةٌ، منها: الثباتُ عِندَ الصدمة الأولى؛ قال رسول الله ﷺ: «الصبر عند الصدمة الأولى»[3].

---

(١) الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٨ هـ -١٩٩٧م، ١/ ١٠٦.

(٢) انظر: عدة الصابرين، ص ٣١.

(٣) صحيح البخاري، ٢/ ٨٢، حديث رقم (١٣٠٢)؛ وصحيح مسلم ٢/ ٦٣٧، حديث رقم (٩٢٦).

ومنها: مَا رواه ابن أبي الدنيا في كتابِه (**الصبر**)، عَن خلفٍ قال: «فذكرتُ ذلك لرجلٍ منهم يكنى: أبا ميمون، وكان عاقلًا، فقال: يا أبا إسماعيل، إنَّ للصبر شروطًا، قلتُ: مَا هيَ يا أبا ميمون؟ قال: إنَّ مِن شروطِ الصبرِ أن تعرفَ كيف تصبر؟ ولِمَنْ تصبرُ؟ ومَا تريدُ بصبرِك؟ وتحتسبُ في ذلك، وتحسنُ النِّيَّةَ فيه؛ لعلَّك إنْ يخلص لك صبرك، وإلا فإنما أنتَ بمنزلة البهيمةِ نزل بها البلاءُ، فاضطربت لذلك ثم هدأَ فهدأت، فلا هِيَ عَقَلت مَا نزلَ بها فاحتسبت وصبرت، ولا هي صبرت، ولا هِيَ عرفت النّعمةَ حين هدأ مَا بها فحمدت الله على ذلك وشكرت»[1].

ومنها: مَا ذكره السيوطيُّ في كتابِه (**برد الأكباد عند فقد الأولاد**)، قال: «ومدَارُه على أركانٍ ثلاثةٍ: إمساكِ النَّفْسِ عَنِ السّخطِ بالقضاءِ، وحبسِ اللسانِ عَنِ القولِ السيئ والبذاءِ، وتقييدِ الجَوارحِ عَنِ المعصيةِ كاللطمِ وشقِّ الثيابِ وتسويدِ البناء، فإذا قامَ الإنسانُ بهذه الأركانِ حاز فضيلة الصبر الذي هو نصف الإيمان»[2].



(١) كتاب (الصبر والثواب عليه)، لابن أبي الدنيا، ١/ ٥٢

(٢) برد الأكباد، ص٩٠-٩١.

الفصل الثالث

آيَاتُ الصَّبرِ

في القرآن الكريم

ثالثًا: آيَاتُ الصَّبْرِ في القرآن الكريم

ذكر اللهُ تعالى (الصبرَ) مع مشتقّاتِه المختلفة في كتابِه الكريم أكثر مِن ثلاثة وثمانين موضعًا، تضمّنت أمرَ الله تعالى لعبادِه بالصبرِ، وجزاء الصابرين وعاقبتهم في الدنيا والآخرةِ، ومدحُ الله تعالى للصابرين على طاعتِه، واتبط الصبر فيها بالتقوى، إذ يقول الله تعالى:

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران، الآية: ١٢٠].

﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران، الآية: ١٢٥].

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران، الآية: ١٨٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران، الآية: ٢٠٠].

وقد يرتبط الصبر بالجزاء الحسن كما نجد في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام، الآية: ٣٤].

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف، الآية: ١٣٧].

وقد يرتبط الصبر بطاعة الله سبحانه وتعالى، فيقول عز وجل:

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يونس، الآية: ١٠٩].

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى، الآية: ٤٣].

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [الأحقاف، الآية: ٣٥].

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [هود، الآيتان: ١٠ – ١١].

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود، الآية: ٤٩].

﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [هود، الآية: ١١٥].

﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف، الآية: ٩٠].

﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد، الآية: ٢٢].

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد، الآية: ٢٤].

﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم، الآية: ١٢].

﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل، الآية: ٤٢].

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل، الآية: ٩٦].

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل، الآية: ١١٠].

﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ۝ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾ [النحل، الآيتان: ١٢٦، ١٢٧].

﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾ [الكهف، الآية: ٢٨].

﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ [مريم، الآية: ٦٥]

﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾ [طه، الآية: ١٣٠].

﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾ [طه، الآية: ١٣٢].

﴿ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ [المؤمنون، الآية: ١١١].

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴾ [الفرقان، الآية: ٧٥].

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ [القصص، الآية: ٥٤].

﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [العنكبوت، الآية: ٥٩].

﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم، الآية: ٦٠].

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [لقمان، الآية: ١٧].

﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة، الآية: ٢٤].

﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص، الآية: ١٧].

﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾ [غافر، الآية: ٥٥].

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴾ [فصلت، الآية: ٣٥].

﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [الأحقاف، الآية: ٣٥].

﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴾ [ق، الآية: ٣٩].

﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الطور، الآية: ٤٨].

﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ﴾ [المعارج، الآية: ٥].

﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾ [المزمل، الآية: ١٠].

﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴾ [الإنسان، الآية: ١٢].

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴾ [البلد، الآية: ١٧].

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ [العصر، الآية: ٣].



الفصل الرابع

أَحَادِيثُ الصَّبرِ

في السنة النبوية

رابعًا: أحاديثُ الصَّبْرِ في السُّنّةِ النَّبويّةِ

• أوردَ ابن أبي الدنيا في كتابِه (**الصبر**) عَن عصمة بن أبي حُكيمة، قال: «بكى رسولُ الله ﷺ ذات يومٍ، فقيل: يا رسولَ الله! مَا أبكاكَ؟ قال: «ذكرتُ آخرَ أُمّتي ومَا يَلْقَوْنَ مِنَ البلاءِ، فالصابرُ منهم يجيءُ يومَ القيامةِ ولهُ أجرُ شهيدَيْنِ»[1].

• وروى مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِن عبدٍ تصيبُه مصيبةٌ فيقول: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها، إلا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيرًا منها». قالت: فلما تُوفي أبو سلمة قلتُ: ومَنْ خيرٌ من أبي سلمة صاحب رسول الله ﷺ؟ ثم عزم الله علي فقلتُها.. فما الخلف؟.. قالت: فتزوجت رسول الله ﷺ، ومَنْ خَيْرٌ مِن رسول الله؟!»[2].

• وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري، وأبي هـــريرة ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «مَا يُصِيبُ المؤمنَ مِن نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا هّمٍّ ولا حَزنٍ ولا أذىً ولا غَمٍّ، حتى الشوكة يُشَاكها، إلا كفَّرَ الله بها سيئاته»[3].

• وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أتت امرأةٌ إلى النبي ﷺ بصبيٍّ لها، فقالت: يا رسول الله، ادعُ الله له؛ فلقد دفنتُ ثلاثةً قبله، فقال ﷺ: دفنتِ ثلاثةً؟ مستعظمًا أمرها ﷺ. قالت: نعم. قال: لقد احتظرتِ بحظارٍ شديدٍ من النار»[4].

---

(١) كتاب الصبر والثواب عليه، ١/ ٥٩.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ٦٣٢، حديث رقم ٩١٨.

(٣) صحيح مسلم ٤/ ١٩٩٢، حديث رقم ٢٥٧٣.

(٤) أخرجه الإمام مسـلم في كتاب البر والصـلة والآداب باب: فضـل من يموت له ولد فيحتسبه، ٤/ ٢٠٣٠حديث رقم (٢٦٣٦).

• وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللهُّ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلا الْجَنَّةُ»[٥].

• وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنَ النَّاسِ مِنْ مُسْلِمٍ يُتَوَفَّى لَهُ ثَلاثٌ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُّ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ»[١].

• وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهَّ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ. فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُّ، قَالَ: «اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا». فَاجْتَمَعْنَ فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللهَّ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُّ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُنَّ مِنْ امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً إِلا كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنْ النَّارِ»، فَقَالَت امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ»[٢].

• وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ لِنِسْوَةٍ مِنْ الْأَنْصَارِ: «لاَ يَمُوتُ لِإِحْدَاكُنَّ ثَلاثَةٌ مِنْ الْوَلَدِ فَتَحْتَسِبَهُ إِلاَّ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ»، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: أَوِ اثْنَيْنِ يَا رَسُولَ اللهَّ؟ قَالَ: «أَوِ اثْنَيْنِ»[٣].

• وعَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي سِنَانٍ قَالَ: دَفَنْتُ ابْنِي سِنَانًا وَأَبُو طَلْحَةَ الْخَوْلانِيُّ جَالِسٌ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ، فَلَمَّا أَرَدْتُ الْخُرُوجَ أَخَذَ بِيَدِي فَقَالَ: أَلا أُبَشِّرُكَ يَا أَبَا سِنَانٍ؟! قُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ: حَدَّثَنِي الضَّحَّاكُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَرْزَبٍ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللهُّ لِمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ. فَيَقُولُ اللَّـهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ»[٤].

---

(٥) صحيح البخاري، ٨/ ٩٠ حديث رقم ٦٤٢٤.

(١) صحيح البخاري ٢/ ٧٣، حديث رقم ١٢٤٨.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٢٨، حديث رقم ٢٦٣٣.

(٣) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٢٨، حديث رقم ٢٦٣٢.

(٤) سنن الترمذي ٢/ ٣٣٢، حديث رقم ١٠٢١. وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

• وأخرج الحاكم في (المستدرك) عن أبي الدرداء، يقول: سمعتُ أبا القاسم ﷺ يقول: «إنَّ اللهَ قَالَ: يَا عِيسَى، إنِّي بَاعثٌ مِن بَعْدِكَ أُمّةً، إنْ أَصَابَهُم مَا يحبُّون حَمِدُوا اللهَ، وَإِنْ أَصَابَهُم مَا يَكْرهُونَ احْتَسبُوا وَصَبرُوا، وَلاَ حِلْمَ ولا عِلْمَ. فَقَالَ: يَا رَبّ، كَيْفَ يَكُونُ هذا لَهُم ولا حِلْمَ وَلَا عِلْمَ؟ قال: أُعْطِيهم من حِلْمِي وعِلْمِي»[1].

• وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «مَا يزالُ البلاءُ بالمؤمنِ في جَسدِه ومَالِه حَتى يلقى الله تعالى وَمَا عليه خطيئةٌ»[2].

• وعن صُهيبٍ ﷺ قَالَ: قالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[3].

• وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: أَرْسَلَنِي أَهْلِي إِلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ أَسْأَلُهُ طَعَامًا، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللهُّ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُّ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُّ، وَمَا رُزِقَ الْعَبْدُ رِزْقًا أَوْسَعَ لَهُ مِنْ الصَّبْرِ»[4].

• وأخرجَ أبو داود السجستانيّ في كتاب (الزهد)، عن عمران بن حصين ﷺ صَاحبِ النبيِّ ﷺ، قال: «ثلاثٌ يُدْرِكُ بهنَّ العبدُ رَغائبَ الدُّنْيَا والآخرَةِ: الصَّبْرُ عند البلاءِ، والرِّضَا بِالقضَاءِ، والدّعاءُ في الرّخَاءِ»[5].

• وروى الإمامُ أحمدُ مِن حديث معاوية بن قرة، عن أبيه قال: إنَّ رجلًا كانَ يأتي النبي ﷺ ومعه ابنٌ له، فقال النبي ﷺ: «أتحبُّهُ؟» فقال: يا رسول الله، أحبَّكَ اللهُ كما أحبُّه. ففقده النبي ﷺ فقال: «مَا فَعَلَ ابنُ

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ–١٩٩٠م، ١/ ٤٩٩، رقم الحديث ١٢٨٩. وقال: هذا حديثٌ صحيح على شرطِ البخاري ولم يخرّجاه.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ١٨٠، حديث رقم ٢٣٩٩. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح مسلم ٤/ ٢٢٩٥، حديث رقم ٢٩٩٩.

(٤) مسند الإمام أحمد ١٨/ ٢٧، حديث رقم ١١٤٣٥.

(٥) الزهد لأبي داود السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم وقدم له وراجعه: فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف، دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، ط١، ١٤١٤هـ–١٩٩٣م، ١/ ٣٣٧حديث رقم ٣٩٢.

فلانٍ؟» فقالوا: يا رسول الله، مات. فقال النبي ﷺ لأبيه: «أَمَا تُحِبُّ أَنْ لا تأتِيَ بابًا مِنْ أَبْوَابِ الجنّةِ إلَّا وَجَدْتَه يَنتظِرُكَ؟» فقال رجلٌ: يَا رسولَ الله، أله خَاصّةً أو لِكُلّنا ؟ فقال ﷺ: «بل لِكُلِّكُم»[٦].

• وفي الصحيحين عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ إِحْدَى بَنَاتِهِ تَدْعُوهُ وَتُخْبِرُهُ أَنَّ صَبِيًّا لَهَا ـ أَوِ ابْنًا لَهَا ـ فِي المَوْتِ فَقَالَ لِلرَّسُولِ: «ارْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا: إِنَّ للهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ». فعادَ الرَّسولُ فَقَالَ: إِنَّهَا قَدْ أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا. قَالَ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَانْطَلَقْتُ مَعَهُمْ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا فِي شَنَّةٍ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»[١].

• روي عن أنس رضي الله عنه وأرضاه أن رسول الله ﷺ يقول: «تُنْصَبُ المَوَازِينُ يَوْمَ القِيَامةِ فَيُؤتَى بِأَهْلِ الصَّلاةِ وَالصّيَامِ وَالزَّكَاةِ وَالحَجِّ فَيُوفّوْنَ أُجُورَهم بِالمَوازين، فيُؤْتَى بِأَهْلِ البَلَاءِ فَلَا يُنْصَبُ لَهُمْ مِيزَانٌ وَلَا يُنْشَرُ لَهُم دِيوانٌ، وَيُصَبُّ الأَجْرُ عَلَيْهِم صَبًّا بِغَيْرِ حِسَابٍ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر، الآية: ١٠]، حتى يتمنّى أهلُ العَافيَةِ في الدُّنْيا أَنَّ أَجْسَادَهُم تُقْرَضُ بِالمَقَارِيضِ مِمَّا يَذْهَبُ بِهِ أَهْلُ البَلَاءِ مِنَ الفَضْلِ»[٢].

• وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ المُسْلِمينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ، إِلّا تَحِلّةَ القَسَمِ»[٣]، يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم، الآيتان: ٧١ – ٧٢].

---

(٦) مسند الإمام أحمد ٣٣/ ٤٧٣، حديث رقم ٢٠٣٥٦.

(١) صحيح البخاري ٩/ ١١٥، حديث رقم (٧٣٧٧). وصحيح مسلم ٢/ ٦٣٥، حديث رقم (٩٢٣).

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (الكشف والبيان)، عن شيخِه الحسين بن محمد بن فنجويه، ج٨/ ٢٢٥.

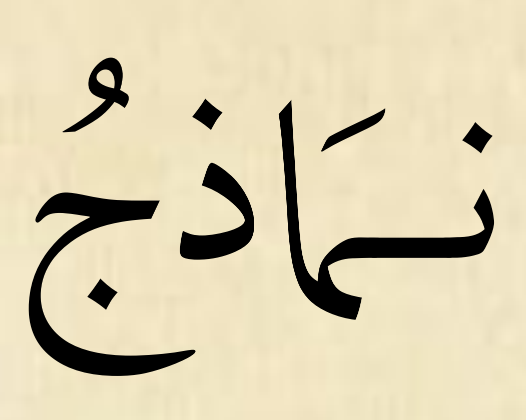
(٣) صحيح البخاري ٢/ ٧٣، حديث رقم (١٢٥١) و٨/ ٣٤، حديث رقم (٦٦٥٦)؛ وصحيح مسلم ٤/ ٢٠٢٨، حديث رقم (٢٦٣٢).

• وعـن أبي هريرة رضي الله عنه: «مَا يَزَالُ البَلَاءُ بِالمُؤمنِ وَالمُؤْمنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللهَ ومَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»[٤].

❁❁❁

(٤) سنن الترمذي ٤/ ١٨٠، حديث رقم (٢٣٩٩)، وصحّحَه الألباني.

الفصل الخامس



من صبر الصحابة والتابعين والسلف الصالح

خامسًا: نماذجُ مِنْ صَبْرِ الصَّحَابةِ وَالتَّابِعِينَ وَالسَّلَفِ الصَّالحِ

ضَرَبَ لَنَا الصّحَابةُ والتَّابعُون وَالسَّلفُ الصالحُ أروعَ الأمثلةِ في الصَّبْرِ والتَّصَبُّرِ عَلَى مَصَائبِ الدُّنْيَا وَأَهْوَالِهَا، في سبيلِ إرضاء اللهِ ﷻ. ولقد ذَكَرَتْ لنَا كُتبُ السِّيَرِ والتَّراجمِ والتاريخِ أمثلةً عديدةً مِن صَبْرِ هؤلاء العُظماءِ، نُورِدُ بعضها في السطور التالية؛ تأسّيًّا بهم واهتداءً بهداهم، كَيْفَ لا وهُم الذين شاهدوا النبي ﷺ ونَهَلُوا مِن مَعينِه الفيّاض، ثُمَّ تبعهم خلفٌ هُم أَقْرَبُ مَا يكونون مِن عَهْدِ النُّبوّةِ وهديِها الغضِّ، وقد قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»[1]:

• عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه دفنَ ابنًا له وضحك عند قبره، فقيل له: أتضحك عند القبر؟ قال: أردتُ أَنْ أُرْغِمَ أَنْفَ الشّيطانِ[2]. قال الأبشيهي معلِّقًا على الخبر: «فينبغي للعبدِ أنْ يتفكّرَ في ثواب المصيبةِ فتسهلَ عليه، فإذا أحسنَ الصبرَ استقبلَه يوم القيامةِ ثوابُها، حتى يودُّ له أنَّ أولادَهُ وأهلَه وأقاربَه ماتوا قبلَه لينالَ ثوابَ المصيبةِ».

• ورُوي عن ثابت البُنَانيِّ أنّه قالَ: كان عبدُ اللهِ بن مطرّف بن عبد الله بلغَ الدُّنْيَا حتى استُعْمِلَ فماتَ، فخرجَ مطرّفٌ على قومِه وعليه ثِيَابٍ مِنْ صَالِحِ مَا كَانَ يَلْبَسُ، فقالوا: يموتُ عبدُ الله وتلبسُ مثل هذه الثيابِ؟! قال: أفأستكينُ وقد وعدَني اللهُ عليها ثلاثَ خصالٍ، كل خصلةٍ منها أحبُّ إليَّ مِنَ الدنيا ومَا فيها كلها؛ قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾[البقرة، الآيتان: ١٥٦ – ١٥٧].

أفأستكينُ لها بعد هذا ؟!![3].

(١) صحيح البخاري ٥/ ٣، حديث رقم (٣٦٥١).

(٢) المستطرف في كل فنٍّ مستظرف للأبشيهي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ١/ ٥٠٤.

(٣) برد الأكباد عند فقد الأولاد، ص١١٣.

• وأخرج مُسْـلِمٌ في صحيحِه، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَاتَ ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ لأَهْلِهَا: لا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ. قَالَ: فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَـاءً فَأَكَلَ وَشَرِبَ، فَقَالَ: ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَ تَصَنَّعُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَوَقَعَ بِهَا فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟! قَالَ: لا. قَالَتْ: فَاحْتَسِبْ ابْنَكَ. قَالَ: فَغَضِبَ وَقَالَ: تَرَكْتِنِي حَتَّى تَلَطَّخْتُ، ثُمَّ أَخْبَرْتِنِي بِابْنِي؟! فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَارَكَ اللهُ لَكُمَا فِي غَابِرِ لَيْلَتِكُمَا». قَالَ: فَحَمَلَتْ، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ وَهِيَ مَعَهُ. وَكَانَ رَسولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ لاَ يَطْرُقُهَا طُرُوقًا، فَدَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ فَاحْتُبِسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. قَالَ: يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ يَا رَبِّ إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رَسُولِكَ إِذَا خَرَجَ، وَأَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ، وَقَدِ احْتُبِسْتُ بِمَا تَرَى. قَالَ: تَقُولُ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، مَا أَجِدُ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ، انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا. قَالَ: وَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ حِينَ قَدِمَا، فَوَلَدَتْ غُلاَمًا، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: يَا أَنَسُ، لاَ يُرْضِعُهُ أَحَدٌ حَتَّى تَغْدُوَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَلَمَّا أَصْبَحَ احْتَمَلْتُهُ فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَصَادَفْتُهُ وَمَعَهُ مِيسَمٌ فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: « لَعَلَّ أُمَّ سُلَيْمٍ وَلَدَتْ». قُلْتُ نَعَمْ. فَوَضَعَ الْمِيسَمَ. قَالَ: وَجِئْتُ بِهِ فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ وَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعَجْوَةٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ، فَلاَكَهَا فِي فِيهِ حَتَّى ذَابَتْ، ثُمَّ قَذَفَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ، فَجَعَلَ الصَّبِيُّ يَتَلَمَّظُهَا. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى حُبِّ الأَنْصَارِ التَّمْرَ». قَالَ فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللهِ[1].

أرأيتَ كيف كانَ صبرُ الأمّ المؤمنة على فراقِ ولدِها، ومقدارُ تحمّلها لقضاء الله وقدره؟!

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ١٩٠٩، حديث رقم ٢١٤٤.

• وعن جويريةَ بنِ أسماء، عَنْ عَمِّه، أن إخوةً ثلاثةً شَهِدُوا يَوْمَ تُسْتَرَ(١)، فَاسْتَشْهدُوا، فخرجت أُمُّهم إلى السُّوقِ يَوْمًا لبعضِ شَأْنِها، فتلقَّاها رجلٌ قد حضرَ أَمْرَهُم، فَعَرَفَتْهُ فَسَأَلَتْه عَنْ بَنِيهَا. فقالَ: استشهدوا. فقالت: أَمُقْبِلِينَ أَمْ مُدْبِرين؟ فقالَ: بَلْ مُقْبِلِينَ. فَقَالَتِ: الحَمْدُ لله، نَالُوا الفَوْزَ وَحَاطُوا الذِّمَارَ، بِنَفْسِي هُمْ وَأُمِّي وَأَبِي[١].

• وَعَنْ مَسْلَمَةَ، قَالَ: لَمَّا مَاتَ عبدُ الملكِ بنُ عُمَرَ كَشَفَ أَبُوه عَنْ وَجْهِه، وَقَالَ: رَحِمَكَ اللهُ يَا بُنيّ، سُرِرْتُ بِكَ يَوْمَ بُشِّرْتُ بِكَ، وَلَقَدْ عُمِّرْتُ مَسْرُورًا بِكَ، وَمَا أَتَتْ عَلَيَّ سَاعةٌ أَنَا بِكَ فِيهَا أَسَرُّ مِنِّي بِكَ مِنْ سَاعتِي هَذِه؛ أَمَا وَاللهِ إِنْ كُنْتَ لَتَدْعُو أَبَاكَ إِلَى الجَنَّةِ[٢].

• وَحَدَّثَ الزُّبيرُ، قالَ: قَامَتْ عائشةُ بَعْدَمَا دُفِنَ أَبُوها أَبُو بكرٍ الصِّدّيقُ ﵁، فقالت: نضَّرَ اللهُ وَجْهَكَ، وَشَكَرَ صَالِحَ سَعْيِكَ؛ فَقَدْ كنتَ للدُّنْيَا مُذِلًّا بِإِدْبَارِك عَنْهَا، وَللآخرةِ مُعِزًّا بِإِقْبَالِك عَلَيْهَا، وَلَئِنْ كَانَ رُزْؤكَ أَعْظَمَ المصَائبِ بَعْدَ رسُولِ الله ﷺ وأكبرَ الأَحْدَاثِ بَعْدَه ــ فَإِنَّ كِتَابَ الله تَعَالَى قَدْ وَعَدَنَا بِالثَّوابِ عَلى الصَّبْرِ فِي المُصِيبةِ، وأَنَا تابعةٌ لَهُ فِي الصَّبْرِ، فَأقولُ: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ، ومستعيضةٌ بِأَكْثرِ الاسْتغفارِ لَكَ، فَسَلَامُ الله عَلَيْكَ، تَوْدِيعُ غَيْرِ قاليةٍ لحيَاتِك، ولا رازئةٍ عَلَى القَضَاءِ فِيكَ[٣].

• ولَمَّا ماتَ ذرٌّ الهمدانيّ جاءَ أبوه، فوجدَه ميّتًا وكان موتُه فجأةً، وعيالُه يَبْكُون عليه، فقالَ: مَا لَكُمْ؟!! والله مَا ظَلَمْنَاه ولا قَهَرْنَاهُ، وَلَا ذَهَبَ لَنَا بِحَقٍّ، ولاَ أَصَابنَا فيه مَا أَخْطَأَ مَنْ كَانَ قبلنا في مثلِه. ولَمَّا وَضَعَه فِي حُفْرتِه قالَ: رَحِمَكَ اللهُ يَا بُنيُّ، وَجَعَلَ أَجْرِي فِيكَ لَكَ، والله مَا بكيتُ عَلَيْكَ وإِنَّما بكيتُ لكَ، فوالله لقد كنتَ بي بَارًّا ولِي نافعًا، وكنتَ لك محبًّا، ومَا بي إليك مِن وحشةٍ، ومَا بي إلى أحدٍ غيرِ الله مِن فاقةٍ، وما ذهبتَ لنا بعزّةٍ، وما أبقيتَ لنَا مِن ذُلٍّ. ولقد شَغَلَنا الحزنُ لكَ عَنِ

---

(٢) ــ مدينة فارسية فتحها المسلمون سنة ١٧ هجرية بقيادة أبي موسى الأشعري، وأسر في معركتها الهرمزان قائد الفرس.

(١) التعازي والمراثي للمبرِّد (المتوفى ٢٨٥هـ)، تحقيق إبراهيم محمد حسن الجمل، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ١/ ٧٧.

(٢) التعازي والمراثي للمبرِّد، ١/ ٩٠.

(٣) المستطرف، ١/ ٥٠٤.

الحُزْنِ عليكَ. يَا ذَرُّ، لولا هولُ المطلعِ لتمنيتُ ما صرتَ إليه، فليت شعري! ماذا قلتَ وماذا قيلَ لك؟ ثُمَّ رفعَ رأسَه إلى السماء، وقال: اللَّهُمَّ إنّك وعدتَ الصابرين على المصيبةِ ثوابَك ورحمتَك، اللَّهُمّ وقد وهبتُ ما جعلتَ لي من الأجر إلى ذَرٍّ صلةً مني، فلا تحرمْنِي ولا تعرّفه قبيحًا، وتجاوز عنه، فإنك رحيم بي وبه. اللَّهُمّ وقد وهبتُ لكَ إساءتَه لي فهَبْ لي إساءتَه إليك؛ فإنّك أجودُ مني وأكرمُ. اللَّهُمّ إنك قد جعلتَ لك عليه حقًّا، وجعلتَ لي عليه حقًّا قرنتَه بحقّك. فقلتَ: ﴿ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾. اللَّهُمّ إنّي قد غفرتُ له مَا قَصَّرَ فيه مِن حّقِّي، فاغفرْ لَهُ مَا قَصَّرَ فيه مِن حَقِّك؛ فإنّك أَوْلَى بِالجُودِ وَالكَرمِ. فلمَّا أرادَ الانصرافَ قَالَ: يَا ذَرُّ، قَد انصرفنَا وتركنَاك، ولو أقمنا عندَكَ مَا نَفَعْنَاكَ[1].

• ورُوِيَ أنَّ شريحًا القاضي ماتَ له ابنٌ، فجهّزَهُ وكفَّنَهُ ودفنَه بِاللَّيْلِ ولم يشعر به أحدٌ، وجلسَ للقضاءِ مِنَ الغَداةِ. فجاءَ الناسُ على حسبِ العادةِ يعودونهُ ويسألونَه عنه، فقال: الآن فُقِدَ الأنينُ والوجعُ. فظنَّ الناسُ أنّه عُوفِيَ، فسُرُّوا بذلك، فقالَ: احتسبناهُ في جنبِ الله تعالى، وهُو يضحكُ. فتعجَّب الناسُ مِن ذلك[2].

• ومَاتَ ابنٌ لوكيعِ بن الجرّاح، فخرجَ وروى للناسِ أربعينَ حديثًا زيادةً على مَا كانَ يروي كلَّ يومٍ[3]. • وقال أبو عليٍّ الرازي: صحبتُ الفضيلَ بنَ عياض ثلاثين سنةً، فما رأيتُه ضاحكًا ولا مبتسمًا إلا يومَ ماتَ عَلِيٌّ ابنُه ـــ رحمةُ الله عليه ـــ فقلتُ له في ذلك، قال: إنَّ الله تعالى أحبَّ أمرًا فأحببتُ مَا أحبَّ اللهُ[4].

❁❁❁

(١) المستطرف، ١/ ٥٠٤.

(٢) برد الأكباد، ص١١٩.

(٣) برد الأكباد، ص١١٩.

(٤) برد الأكباد، ص١١٩.

الفصل السادس

نَماذِجُ

من الصبر على المرض

سادساً: نماذج من الصبرِ على المرضِ

• أخرج البخاريُّ ومسلمُ في صحيحَيْهما عن عَطَاء بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى! قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ؛ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَّ لِي. قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَّ أَنْ يُعَافِيَكِ!». فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَّ لِي أَنْ لا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا[1].

• وكان عروةُ بن الزبير صبورًا، ذكر ابنُ خلّكان أنّه كان يقرأُ ربعَ القرآن كل يوم نظرًا في المصحف ويقوم به الليل، فما تركه إلا ليلةَ قُطِعَت رجلُه، ثم عاد من الليلة المقبلة. قال ابن قتيبة: لَمَّا دُعِيَ الجزّارُ ليقطعَها قَالَ لَهُ: نَسْقِيكَ الخمرَ حَتى لا تجدَ لها أَلَمًا؟! فقال: لا أستعينُ بحرامِ الله عَلَى مَا أَرْجُو مِنْ عافيةٍ، قَالُوا: فَنَسْقيكَ الْمُرْقِدَ؟! قَالَ: مَا أُحِبُّ أَنْ أُسْلبَ عُضْوًا مِنْ أعضائي وَأَنَا لا أَجِدُ أَلَمَ ذَلِكَ فَأَحْتسبَهُ، قَالَ: ودخل عليه قومٌ أَنْكَرَهُم، فَقَالَ: مَا هؤلاء؟ قَالُوا: يُمْسكُونَك؛ فَإِنَّ الأَلَمَ رُبَّما عَزَبَ مَعَهُ الصّبرُ، قَالَ: أَرْجُو أَنْ أكفيَكُم ذَلِكَ مِنْ نَفْسِي، فَقُطِعَتْ كَعْبُه بِالسّكّينِ حَتّى إِذَا بَلَغَ العظم وُضِعَ عَلَيْهَا المنشارُ، فَقُطِعَتْ وَهُوَ يُهَلِّلُ وَيُكَبِّرُ. ثُمَّ إِنَّهُ أُغْلِيَ لَهُ الزيتُ فِي مَغَارِفِ الحَديدِ فَحُسِمَ بِهِ، فغشي عليه، فَأَفَاقَ وَهُوَ يمسحُ العرقَ عَنْ وَجْهِهِ. وَلَمَّا رَأَى القَدَمَ بِأَيْدِيهم دَعَا بِهَا فَقَلَّبَهَا فِي يَدِه، ثُمّ قَالَ: أَمَا والذِي حَمَلَنِي عَلَيْكِ، إِنّه لَيَعْلَمُ أَنِّي مَا مشيتُ بِكِ إِلى حرامٍ، أَوْ قَالَ: مَعْصيةٍ.ثُمَّ لَمَّا تُوفِّي ابنٌ له في إسطبل الوليد بن عبد الملك لم يُسْمَعْ فِي ذَلِكَ مِنْهُ شيءٌ، حَتّى قَدِمَ المدينةَ فَقَالَ: اللَّهمَّ، إِنَّه كَانَ لِي أَطْرافٌ أربعةٌ، فَأَخَذْتَ وَاحدةً وَأَبْقَيْتَ لي ثلاثةً، فَلَكَ الحمدُ. وايمُ الله لَئِنْ أخذتَ لَقَدْ أَبْقَيْتَ، وَلَئِنْ ابْتَلَيْتَ لَطَالَمَا عَافَيْتَ[2].

---

(١) صحيح البخاري ٧/ ١١٦، حديث رقم (٥٦٥٢)؛ وصحيح مسلم ٤/ ١٩٩٤، حديث رقم (٢٥٧٦).

(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر -بيروت، ج٣/ ٢٥٧.

• وذكر ابنُ أبي الدنيا عن محمد بن الحسين، قال: حَدَّثَني خلفُ بنُ إسماعيل، قال: سمعتُ رجلًا مبتلى من هؤلاء الزَّمنى، يقول: وَعزّتِك لَوْ أَمَرْتَ الهوامَ فَتَقْتَسمُني مَضْغًا مَا ازْددتُ لَكَ توفيقك ـ إلا صبرًا، وَعَنْكَ ـ بمنِّكَ وَنِعْمتِكَ ـ إلا رضًا. قال خلف: وكان الجذامُ قَدْ قَطَعَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَعَامةَ بَدنِه[1].

•وفي (سلوة الحزين) (يُذْكَرُ أنَّ أعرابيّةً فقدت أباها، ثم وقفت بعد دفنه فقالت: يا أبتِ، إنَّ في الله عوضًا عَنْ فَقْدِك، وفي رسوله ﷺ من مصيبتك أسوة .ثم قالت :رَبِّي لك الحمد، اللَّهُمّ نزلَ عبدكَ مفتقرًا من الزاد، مخشوشن المهاد، غنيًّا عمَّا فِي أَيْدي العبادِ، فقيرًا إلى ما في يدك يَا جَواد، وأَنْتَ يَا ربّي خيرُ مَنْ نزلَ بك المُرْمِلون، واستغنى بفضلك المقلّون، وولجَ في سعة رحمتِك المذنبون، اللَّهُمّ فَلْيَكُن قِرَى عَبْدِك مِنْكَ رَحْمتَك، ومِهَادُه جنّتَك .ثُمَّ انصرفتْ راضيةً محتسبةً مأجورةً بإذنِ الله غير مأزورة .

• ويروي الإمامُ أحمد في **(الزهد)** عن زياد بن أبي حسان أنه شهد عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ حين دفن عبد الملك ابنه، قد استوى قائمًا عند القبر وأحاط به الناس... فقال: رحمك اللهُ يا بُني، فقد كنتَ بَرًّا بأبيك، والله ما زلتُ منذ وهبَك اللهُ لي مسرورًا بك، ولا والله ما كنتُ قطّ أشد بك ولا أزجي لحظي من الله تعالى فيك منذ وضعتُك في هذا المنزلِ الذي صيّركَ اللهُ إليه، فرحمك اللهُ وغفرَ ذَنْبَكَ وجزاكَ بأحسنِ عملك، ورحمَ كلَّ شافعٍ يشفعُ لك بخيرِ شاهدٍ أو غائبٍ، رَضِينَا بقضاء الله، وسلَّمْنَا لأمرِ الله، والحمدُ لله رب العالمين، وإنَّا لله وإنا إليه راجعون. ثم انصرف ورجع إلى مجلسه[2].

وكان قبل وفاة عبد الملك قد هلك أخوه سهل وهو من أحب أخوته، وهلك مولاه مزاحم وهو عزيز عليه، كل ذلك في أوقات متتابعة، فلما استوى في مجلسه جاء الربيع بن ثبرة ـ عليه رحمة الله ـ فقال: عظمَ اللهُ أجرَك يَا أمير المؤمنين، مَا رأيتُ أحدًا أُصِيب بأعظم من مُصيبتِك، ما رأيتُ مثل ابنك ابنًا، ولا مثل أخيك أخًا، ولا مثل مولاك مولىً قط. فطأطأ رأسَه عمرُ رحمه الله، فقال أحد الحاضرين: لقد هيّجتَ عليه.

---

(١) كتاب الصبر والثواب عليه، ١/ ٥١.

(٢) الزهد لأحمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ١/ ٢٤٣، رقم الحديث ١٧٣١.

فقال: كيف قلتَ يا ربيع؟ أَعِدْ. قال: فأعدتُ عليه، فقال: لا والذي قضى عليهم الموت، ما أحبُّ أنَّ شيئًا كان من ذلك لم يكن.

• ويقف محمد بن سليمان على قبر ابنه وفلذة كبده بعدما دفنه، فيقول: كل ذلك في كتاب، الحمد لله وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، اللهم إني أرجوك له وأخافك عليه، اللهم فحقق رجائي فيه، وآمن خوفي عليه، ولسان حاله مثل قول الشاعر أبي الحسن التهامي إذ يقول:

أَبكيهِ ثُمَّ أَقولُ مُعتَذِرًا لَهُ ... وُفِّقتَ حينَ تَرَكتَ ألأم دارِ

جاوَرتُ أَعدائي وَجاوَرَ رَبَّهُ ... شَتّان بَينَ جِوارِهِ وَجِواري

يا كَوكَبًا ما كانَ أَقصَرَ عُمرَهُ ... وَكَذاكَ عُمرُ كَواكِبِ الأَسحارِ

درّت عليك من الغمام مراضعُ ... وَتَكَنَّفَتْكَ مِنَ النُّجومِ جَواري[1]

وذكر أبو محمد عبد الحق الإشبيلي في كتابه (**العاقبة في ذكر الموت**)، عن الأصمعيّ، قال: «حجّت امرأةٌ مِن الأعرابِ ومعها ابنٌ لها، فأُصيبَ به، فلمّا دُفِنَ قامت على قبرِه وهي موجعةٌ، فقالت: يا بُني، والله لقد غذوتُكَ رضيعًا، وفقدتُك سريعًا، وكأن لم يكن بين الحالتين مدّة ألتذُّ فيها بعيشِك، وأتمتعُ فيها بالنَّظرِ إلى وجهِك، وبقيت مدّةٌ أتذكرك فيها وأذوب فيها بالحزن عليك.

ثُمَّ قالت: اللَّهُمّ منكَ العدلُ، ومِن خُلقِك الجودُ، اللَّهُمَّ وهبتَني قُرّةَ عيني فلم تمتّعْني به كثيرًا، بل سلبتنيه وشيكًا، ثُمّ أمرتَني بالصَّبْرِ عليه، ووعدتني الأجرَ، فصدقتُ وعدَكَ، ورضيتُ قضاءَك، اللهمَّ ارحم غربتَه، واستر عورتَه يوم تنكشف العورات، وتظهر السوآت... فلمَّا أرادت الخروجَ إلى أهلِها وقفت على قبره، وقالت: أي بُنيّ، قد تزودتُ لسفري من الدنيا، فليت شعري!! مَا زادُك لسفرِكَ ويومِ معادك، اللهم أسألك الرضا له برضاي عنه، ثُمّ قالت: أستودعُك من استودعنيك جنينًا في الأحشاء، وأذاقني

(١) مِن محاضرة صوتية لفضيلة الشيخ علي بن عبد الخالق القرني، بعنوان: كشف الكربة عند فقد الأحبة.

عليه غصة الثكلى، وأثكل الوالدات. ما أقل أنسهن، وأشد وحشتهن!! وصَلَّت عند قبرِه ركعتين وانصرفت»[٢].

• ومات ابنٌ لأنس ﷺ فقال أنس عند قبره: «اللَّهُمَّ عبدك وولدُ عَبْدِك، وقد رُدَّ إليك، فارأفْ به وارحمه، وجافِ الأرضَ عَنْ بدنِه، وافتحْ أبوابَ السَّماءِ لروحه، وتقبَّلْهُ بقبولٍ حَسَنٍ»، ثُم رجعَ، فأكل وشرب وادّهن وأصاب من أهله[١].

• وضحك أحدُ السَّلفِ يومَ ماتَ ابنُه، فقيل: أتضحكُ في مثل هذا الحال؟ قال: نعم، أردتُ أنْ أُرْغِمَ الشيطانَ، وقضى اللهُ القضاءَ فأحبُّ أَنْ أَرْضَى بقضائِه؛ فهو أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين.

• وروى ابنُ أبي حاتم بسنده عن خالد بن يزيد، عن عياض، عن عقبة أنه مات له ابنٌ، يُقَالُ له: يحيى، فلما نزل بقبره قال له رجل: والله إن كان لسيد الجيش فاحتسبه. فقال والدُه: وما يمنعني أنْ أحتسبَه وقد كان من زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات؟!

• وهاهي امرأةٌ مِن السَّلَفِ قد مات ابنُها، فجاءوا يعزّونها ويقولون: يا أمة الله اتقِ اللهَ واصبري. فقالت: الحمد لله وإنَّا لله، مصيبتي أعظمُ من أن أفسدها بالجزع[٢].

• وروى البيهقي بإسناده في (مناقب الإمام الشافعي) ـ رحمه الله ـ أن عبد الرحمن بن مهدي مات له ابنٌ فجزع عليه جزعًا شديدًا حتى امتنعَ مِن الطعامِ والشرابِ، فبلغَ ذلك الشافعيُّ، فكتبَ إليه: أمّا بعد؛ فعَزِّ نفسَك بما تعزّي به غيرَك، واستقبحْ مِن فعلِك مَا تستقبحُه مِن فِعْلِ غَيْرِك، واعلم أن أمضَّ المصائبِ فَقْدُ سرورٍ مع حرمانِ أجرٍ، فكيف إذا اجتمعا على اكتسابِ وزرٍ؟ وأقول:

---

(٢) العاقبة في ذكر الموت لابن الخراط (المتوفى: ٥٨١هـ)، تحقيق خضر محمد خضر، مكتبة دار الأقصى – الكويت، ط١، ١٤٠٦ هـ– ١٩٨٦م، ١/ ١٥٥.

(١) انظر: عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ،٢/ ٣٤٠.

(٢) وردت كلُّ هذه الأخبار وغيرها في محاضرة صوتية للشيخ/ علي القرني بعنوان: كشف الكربة عند فقد الأحبة.

إنِّي معزِّيكَ لا أنِّي على طَمَعٍ مِنَ الخُلودِ ولكنْ سُنَّةُ الدينِ
فَمَا المُعزَّى بباقٍ بعد صَاحبِه ولا المُعزِّي ولو عَاشَا إلى حِينِ[1]

• وقيل لرجلٍ: كم لك من الولد؟ قال تسعة. فقيل له: إنما نعرف لك ابنًا واحدًا! قال: الحمد لله، كان لي عشرة، فقدمت تسعة أحتسبهم عند الباري الرحيم، وبقي لي واحدٌ، لا أدري: أهو لي أم أنا له؟يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

لكُلِّ اجْتِماعٍ مِن خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ وكُلُّ الذي دُونَ المَمات قَلِيلُ
وإنَّ افْتِقادِي وَاحِدًا بَعْدَ واحِدٍ دَلِيلٌ على أَنْ لا يَدُومَ خَلِيلُ

• وذكر المعافى بن زكريا في (الجليس الصالح) أنَّ امرأةً مِن بني عامرٍ كان لها بنون عشرة، فخرجَ تسعةٌ منهم في بعض حاجتِهم، فأصابتهم السماءُ فابتدروا كهفًا، فتحدّرت صخرةٌ فردمت عليهم بابَ الكهفِ، فلمّا طالَ ذلكَ على أُمِّهم، قالت لابنها العاشر: انطلق فاقفُ آثارَ إخوتِك، فما أُرني إلَّا وقد رُزئتُهم، قال: يقولُ ابنُها: كيف ذاكَ يا أمّهْ؟ قالت: يا بُنيّ، إنّ والله أجدُ كَبِدي تحترقُ احتراقًا، كلما قلتُ قد سكنَ عادَ تَلَهُّبًا، فانطلقْ هل تُحِسُّ لهم أثرًا، أو تعلمُ لهم خبرًا. قال: فخرجَ الفتى يقفو آثار إخوتِه حتى انتهى إلى ذلك الكهف، فاطّلع عليه فإذا إخوتُه موتى مُجَدَّلِين، فرجعَ يُرِيدُ أُمَّه باكيًا، فلمَّا أتاها قالت: مَا وراءَكَ يا قيس؟ قال: خَيْرٌ يا أُمَّهْ. قالت: عليّ ذلك يا بُني! قال:

لا تأسَفِنَّ على شيءٍ فُجِعْتُ به إنَّ المنايا خِلالَ الوَعْثِ والجَدَدِ
رَبَّيْتِهِمْ تسعةً حتى إذا اتّسقـــوا أصْبحتِ منهم كقَـرْنِ الأَغْضَبِ الفَرَدِ
وكُلُّ أُمٍّ وإِنْ سُــــرّتْ بمَا وَلَـــدتْ يَوْمًا سَتَثْكِلُ مَا رَبَّـــتْ مِنَ الولَـدِ

---

(١) مناقب الشافعي، للبيهقي، ج٢/ ٩٠-٩١.

قال: فنحبت العجوزُ نحيبًا شديدًا، ثُمّ قالت:

بُنَيَّ لا صبرَ لي فيما فُجِعْتُ به ... عَنْ تِسْعةٍ مِثْلِهم غَرَّاءُ لم تَلِدِ

زُهْرٌ جَحَاجِحةٌ بيضٌ خَضَارمةٌ ... وفِي الهَزَاهزِ والرَّوْعَاتِ كالأُسْدِ[1]

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، للمعافى بن زكريا، تحقيق عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م، ١/ ٩٥

الفصل السابع

كشفُ الكُربَةِ

عند فقد الأحبة

سابعا: مَا يَكْشِفُ الكُرْبَةَ عِنْدَ فَقْدِ الأَحبّةِ[1]

ومِن وَسَائلِ كَشْفِ الكُرْبَةِ تذكُّرُ المصيبةِ العظمى بموت رسول الله ﷺ، وكلُّ مصيبةٍ دون مصيبتِنا بموتِه ﷺ تهونُ، فبموته ﷺ انقطعَ الوَحْيُ مِنَ السَّماءِ إلى القيامة، وبِمَوْتِه انقطعت النبوّاتُ، وبموتِه ظَهَرَ الفَسَادُ بارتدادِ بعض العَربِ عَنِ الدينِ. وفيه غايةُ التسلية عن كل مصيبةٍ تُصِيبُ العبدَ أو تحلُّ بأُمّةِ الإسلام جمعاء... وها هو ﷺ يطلب منّا أَنْ نذكرَ بمصائبِنا موتَه وفراقَه؛ وبذلك تهونُ علينا المصائب والخطوب، فيقول ﷺ في الحديث الذي صحَّحَه الألبانيُّ فِي السلسة: «إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها أعظم المصائب»[1].

أفَلَا يستحقُّ رسول الله ﷺ منَّا أَنْ نحزنَ على موتِه أكثرَ من حزننا على سواه؟ ونتعزى به عن فراق مَن سواه، ونذكرَه فنتمسّك بسُنّتِه، ونمضي على شرعتِه؛ لننعمَ بَعْدَها بصُحْبةِ النّبيين والصديقين والشهداء والصالحين.. ولعل من فقدته في ركبهم وعندها يجمع الله الشتيتين.

ولو كان لرجلٍ مثل أحُدٍ ذهبًا ينفقه في سبيل الله، لم يَقْبَلِ اللهُ منه حتى يُؤمنَ بالقدرِ: خَيْرِه وشَرِّه، ويعلمَ أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، ومَا أخطأه لم يكن ليصيبَه.. وإِنْ مات على غير هذا أُدْخِلَ النّارَ والعياذ بالله. ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۞ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد، الآيتان: ٢٢ – ٢٣].

ما قد قُضِـــي يا نفس فاصطبري له   ولكِ الأمـــان من الذي لـم يُقـــدرِ

(١) منقولة بتصرّف مِن محاضرة فضيلة الشيخ علي القرني: كشف الكربة عند فقد الأحبّة.

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها للألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ٣/ ٩٧، رقم الحديث ١١٠٦.

ثم اعلمي أن المقـدّر كائـنُ حتمًا عليكِ صـبرتِ أم لم تصبري

ولتعلم أنَّ البكاء الذي لا صوت معه ولا تسخّطَ فيه لا يُعارض الرضا، فأشدُّ الناس حرصًا على رضا مولاهم هم الأنبياء، وأَرْضَى الخلق نبينا محمد ﷺ بكى يوم مات ابنُه إبراهيم رأفةً ورحمةً منه للولد ورِقّةً عليه، وقلبُه ممتلئٌ بالرّضا، ولسانُه مشتغل بحمد الله وذكره، وهذا أكمل هديٍ وأتمّه، فإنه ﷺ حملَتْه الرحمةُ بالطفل على البكاء، ومحبةُ الله على الرضا وخير الهدي هديه ﷺ.

وفي الصحيحين أنَّ النبي ﷺ دخل على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، قال عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ قال عليه الصلاة والسلام: «يا ابن عوف، إنها رحمةٌ، إنَّ العينَ تَدْمعُ، والقلبَ يحزنُ، ولا نقولُ إلا ما يُرْضِي ربّنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[1].

وفي الحديث المتفق عليه أن النبي ﷺ قال: «إن الله لا يعذّبُ بدمعِ العين، ولا بحُزْنِ القلبِ، ولكن يعذّبُ بهذا- وأشار إلى لسانه - أو يرحم»[2].

أيها الأحبةُ، اللهُ يقضي، فمَنْ رَضِيَ فله الرّضا، ومَن سخطَ فله السُّخْطُ، فمَن استعان بالله وشَكَرَهُ في السَّرَّاءِ والضّرّاءِ، ورضي بقدر الله، انكشفَ كَرْبُه، ورضيت نفسُه، فهو بحياة طيبة على كُلِّ حَالٍ، إنْ أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له:

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت، الآية: ٣٥].

يقول بَعْضُ الحُكماءِ: العاقلُ يفعل في أوّل يومٍ من المصيبة ما يفعله الجاهلُ بعد أيام، ومن لم يصبرْ صبرَ الكرامِ سَلا سلوَّ البهائم، فالصبر عند الصدمة الأولى كما يقول الشاعر محمود الوراق:

(١) صحيح البخاري ٢/ ٨٣، رقم الحديث ١٣٠٣

(٢) صحيح مسلم ٢/ ٦٣٦ ' رقم الحديث (٩٢٤).

إذا أَنْتَ لَم تَسْلُ اصطـبارًا وحِسْـبَةً   سلـوتَ على الأيّامِ مِثْلَ البَهَـائـمِ

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يَوَدُّ أناسٌ لو أنَّ جلودَهم كانت تُقرض بالمقاريضِ لمّا يَرَوْنَ مِن ثواب أَهْلِ البلاءِ»[1]. فسبحان مَن يرحمُ ببلائه، يقول أبوتمام من شعراء العصر العباسي:

قد يُنعِم الله بالبلوى وإن عظمت   ويبتلي الله بَعْضَ القَوْمِ بالنِّعَمِ

والمفروحُ به اليوم هو المحزون عليه غدًا، ومَن بلغ غايةَ ما يحبُّ فليتوقع غاية ما يكره، ومَنْ عَلِمَ أنَّ كلَّ نائبة إلى انقضاء حَسُنَ عزاؤه عند نزول البلاء، فيقول الله تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الفتح، الآية: ٢٣].

ويقول الشاعر أبوالفتح البستي:

وكـل كـسـرٍ لعل الله جابره   وما لكسر قناة الدين جبرانُ

فإذا رأيت إنسانًا لا يبالي بما أصابه في دينه من ارتكاب الذنوب والخطايا، ومن فوات الجمعة والجماعة، وأوقات الطاعة، وولوغٍ في المحرمات، ومن انتهاكٍ للحرمات، وانتهاك لحدود الله وتجاوز لها ـ فاعلم أنّه المصاب حقًا، ثم اعلم أخرى أنه ميت لا يحس بألم المصيبة ولا يشعر:

﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴾ [النمل، الآية: ٨٠].

وبعدَ مُصيبةِ الدين المصيبةُ في النفس، ثم في الأهل، ثم في المال، وكلُّها تتفاوت وتتدرج إلى أن تكونَ المصيبة في الشوكة وفي قطع شِسْعِ النَّعْلِ، وهذا في غاية الخسة كما تعلمون؛ ولذا يقول شريح ـ عليه رحمة الله ـ: «إنّي لأُصَابُ بالمصيبة فأحمدُ الله ﷻ عليها أربع مرات: أحمدُه إذْ لم يجعلها أعظمَ

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، ط٣، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣ م، ٣/ ٥٢٦، رقم الحديث ٦٥٥٣.

ممّا هي عليه، وأحمدُه إذ رزقني الصبرَ عليها والاحتساب، وأحمده إذ وفَّقَني للاسترجاع لما أرجو فيه من الثواب، وأحمده أَنْ لم يجعلها في ديني»[1] فيقول ابن القيم في الجواب الكافي:

عَنْ كُلِّ شيءٍ إِذَا ضَيّعتَهُ عِـــــــوَضٌ ... ومَا مِنَ الدّينِ إِنْ ضَيَّعْتَ مِنْ عِوَضِ

ويقول الشاعر هاشم الرفاعي:

هي الأيـام لا يبقى عـــزيز ... وساعاتُ السُّرور بها قَلِيلَه

إذا نَشَرَ الضياءَ عَلَيْكَ نَجْـمٌ ... وأَشْـرَقَ فَارْتَقِـبْ يَوْمًا أُفولَه

إنْ أَضْحَكت قليلًا أَبْكَتْ كَثيرًا، وإن سَرّت يومًا أحزنت شهورًا، وإن متّعت كثيرًا مَنَعَتْ طويلًا، لا يبقى لها حبورٌ ولا يدومُ فيها ثبور.

قال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد، الآية: ٢٠].

مَا أدقَّ التعبيرُ القرآنيّ عندما يُشِيرُ إلى أَنَّ الحياة الدنيا يومَ تُوزَنُ بموازين الدنيا تبدو أمرًا عظيمًا هائلًا! لكنّها حين تُقَاسُ وتُوزن بموازين الآخرة تبدو شيئًا تافهًا زهيدًا حقيرًا، بل لعبةَ أطفال. ثُمَّ تأتي الصورةُ القرآنية لتصوّرَ الدنيا كزرعٍ أَعْجَبَ الزارعَ نباتُه ينمو شيئًا فشيئًا حتى يكتمل، ثم يهيج

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م، ٤/ ١٠٥.

فتراه مصفرًّا جاهزًا للحصاد، فهو موقوت الأجل، ينتهي عاجلًا ويبلغ أجله قريبًا، ثم يكون حطامًا، وينتهي شريطُ الحياة بمشهدِ الحُطامِ، ويا لها من نهاية!!

روى الإمام أحمد في مسنده قال: قال ﷺ: «مالي وللدنيا؟ إنما مثلي ومثل الدنيا كراكبٍ قَالَ في ظل شجرة في يوم عاصف، ثم راح وتركها»[1].ويقول الإمام الحسن البصري:

أَحْلَامُ نَوْمٍ، أَوْ كَظلٍّ زَائــلٍ إِنَّ اللَّبِيبَ بِمِثْلِها لَا يُخْدَعُ

يقول بعضُ أَهْلِ العِلْمِ: لَنِعَمُ اللهِ عَلَيْنَا فيما زوى عنَّا مِنَ الدُّنيَا أَفْضَلُ مِنْ نِعَمِه فيما بسطَ لنا منها؛ لذلك لم يرضَ اللهُ لنبيه بالدنيا، فلأن أكونَ فيما رضي اللهُ لنبيِّه وأحبّه له أحبَّ إليَّ مِنْ أنْ أكونَ كما كرهَ له وسخطَ. وما أجمل عبارة ابن القيم حين يُشَبّه الدنيا فيقول: أشبهُ الأشياء بالدنيا الظلُّ، تحسبُ له حقيقةً ثابتةً، وهو في تقلّصٍ وانقباضٍ، تتبعه لتدركه فلا تلحقه، وأشبهُ الأشياء بالدنيا السراب: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [النور، الآية: ٣٩]، وأشبه الأشياء بالدنيا المنام، يرى فيه العبد ما يحبُّ وما يكرهُ، فإذا استيقظ علم ذلك أن لا حقيقة له. هذه هي الحياة الدنيا، والآخرة هي الحياة الخالدة لو كانوا يعلمون، فيقول الشاعر أبوالعتاهية:

إنّمَا الدُّنيا هِبَاتٌ وعَــوَارٍ مُـــسْتَـرَدّه
شِدَّةٌ بعدَ رَخَاءٍ ورَخَاءٌ بَعْدَ شِدّه

يقولُ بعضُ السَّلف: إنَّ العبد ليُصَابُ بالمصيبة، فيذكرُ ذنوبَه فيخرج مِن عينه مثل رأس الذباب دمعًا من خشية الله، فيغفر الله عز وجل له.

(١) مسند الإمام أحمد ٧/ ٢٥٩، رقم الحديث (٤٢٠٨).

وَمِمّا يكشف الكربةَ عند فقد الأحبّة:

- رَحْمَةُ أهلِ البلاء ومساعدتهم على احتمال بلواهم: فإن العبد إذا أحسَّ بألمِ المصيبة رقَّ قلبُه لأهل المصائب والبلايا ورَحِمَهم.

- معرفة قيمة وقدر العافية: فإنَّ النِّعَمَ لا تُعرف أقدارُها إلا بعد فقدِها، فلا يعرف نعمةً إلا مَنْ ذاق مرارةَ ضدّها، وقديمًا قيل: وبضدها تتميز الأشياء، فمَنْ تأمل هذه اللطائف زال مَا به من هم وغم، وانشرحَ صدرُه، وانفرجَ همُّه بإذن ربه.

- لطيف التعزية عند فقد الأعزة: فإنَّ الكلمة الطيبة تقال للمصاب يثبت بها بإذن الله، ويغدو صبرُه عليها سهلًا يسيرًا؛ فإنَّ المؤمنَ ـ كما تعلمون ـ قليلٌ بنفسِه، كثيرٌ بإخوانِه، ضعيفٌ بنفسه، قويٌّ بإخوانه، شديد بأعوانه. فإذا وجد هذا يُعَزّيه، وهذا يُسَلّيه سهلت عليه الأمورُ العظام، وكُشِفَ ما به بإذن الله رب السماء والأرض؛ ولذا فإن الشارعَ بحكمتِه البالغة شرعَ التعزيةَ لأهلِ المصيبة والدعاء لهم بالثبات والأجر والخلف، وللميت بالرحمة والمغفرة.

فعزاءُ اللهِ الذي نتعزى به دائمًا: «إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون»، ورسول الله ﷺ هو القدوة والأسوة، عزّى أصحابَه عند نزول المصائب وواساهم، كما في السنة الصحيحة، وقد اقتدى السلف الصالح به في ذلك، فلعلّنا أَنْ نقف على بعض ما في السنة الصحيحة وأقوال السلف في لطيف التعزية والدعاء بما هو خير، فخير الهدي هديه ﷺ. جاء في جوهرة التوحيد:

وكُلُّ خَيْرٍ بِاتِبَاعِ مَنْ سَلَفْ ... وَكُلُّ شَرٍّ فِي ابتداعِ مَنْ خَلَفْ

ورُوِي عن علي رضي الله عنه ـ كما في (التعازي) ـ أنه قال لُمصَابٍ: إنّك إنْ صبرتَ جَرَتْ عَلَيْكَ المقاديرُ وأنت مأجورٌ، وإنْ جزعتَ جَرَتْ عليكَ المقاديرُ وأنت موزورٌ.

ولما تُوفّيت ياقوتةُ بنت المهدي جزعَ عليها جزعًا لم يُسْمَعْ بمثلِه، فجلس وجاء الناس يعزونه، فأمر ألا يُحْجبَ منه أحدٌ، فأكثر الناسُ في التعازي، واجتهدوا في البلاغة والفصاحة لكونه الخليفة، ثم أجمعوا بعد ذلك أنهم لم يروا تعزية أبلغ ولا أوجز من تعزية ابن شبة ـ رحمه الله ـ يوم قال: أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رُزِئتَ أجرًا، وأعقبك خيرًا، ولا أجهد بلاءك بنقمةٍ، ولا نزعَ منك نعمةً، ثوابُ الله خَيْرٌ لك منها، ورحمةُ الله خيرٌ لها منك، أسألُ الله ألا يحزنَك ولا يفتنَك، فكان مما سرّى على أمير المؤمنين مثل هذه التعزية.

وعزّى موسى بن المهدي سليمان بن أبي جعفر في ابنٍ له ماتَ، فقالَ: أيسرك وهو بلية وفتنة؟ ويحزنك وهو صلاةٌ ورحمةٌ وهدى؟! يشير إلى قول الله عز وجل: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال، الآية: ٢٨]، ويشير بالثانية إلى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة، الآية: ١٥٧].

فلله ما أعطى ولله ما حوى ... وليس لأيام الرزية كالصبرِ

فحسبك منهم موحشًا فقد برهم ... وحسبك منهم مسليًا طلب الأجرِ

وكانَ مِنْ هَدْيِه ﷺ تعزيةُ أَهْلِ الميت، ولم يكن من هديه الاجتماعُ للعزاءِ، ولا قراءة القرآن عند قبره، فكل هذه بدعة حادثة.

- ألا يُحَدَّ على مَيِّتٍ فوق ثلاثة أيام كما يفعل كثير من النساء، إلا على زوج أربعة أشهر وعشرًا، كما في كتابِ اللهِ وسُنّة نبيِّه.

عليكم أيها الإخوان بهدي الرسول ﷺ، ومنهاج قرآنه المحكم، رزقنا الله إتباع السنة، ورحم الله موتانا بكرمه ومنه.ثُمَّ الدعاءَ الدعاءَ؛ فإن الله ﷻ قال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر، الآية: ٦٠].

يا أيها المكروب خاصة، ويأيها الناس عامة، ادعوا ربكم تضرعًا وخفية؛ ففيه المطمع وإليه المفزع، لا إله إلا هو، مَنْ لكم غيره يجبر كسركم؟ مَنْ لكم غيره يبدد أحزانكم؟ مَنْ لكم غيره يؤنسكم في وحشتكم؟ مَنْ لكم إذا دفعتم عن الأبواب إلا بابه؟ مَنْ لكم غيره أعز مطلوب وأشرف مرغوب؟

لا إله إلا هو... أيها المصابون، عليكم من الله الرحمات عدد ما سكبتم من العبرات، وكظمتم من الأنات، جعل اللهُ مصابكم من الباقيات الصالحات، وأمَّنكم من الفزع يوم تنشر السجلات، وتقبل الله منا ومنكم وكتب لنا السعادة في الحياة والمات.



الفصل الثامن

جَامِعُ الرَّاحِلِين

مقال الكاتب الكبير

محمد بن مانع عسيري في جريدة الوطن الأحد الموافق ١٨/ ٨/ ٢٠١٩م

في فقد أبناء الدكتور/ إسماعيل البشري الخمسة – رحمهم الله

مقال الكاتب الكبير/ محمد بن مانع عسيري في جريدة الوطن

الأحد الموافق ١٨/ ٨/ ٢٠١٩م، في فقد أبناء الدكتور/ إسماعيل البشري الخمسة – رحمهم الله

(جامع الراحلين واكتمال اللوحة)

فقد الأبناء قاس على القلوب حارق للأفئدة، وما أصدق ذؤيب عندما قال:

وأولادُنَا مِثْلَ الجَوَارِحِ أيُّهَا   فَقَدْنَاهُ كَانَ الفَاجِعَ البيِّنَ الفَقْدُ

بداية أنا هنا لن أحاول إعادة سرد القصة المؤلمة التي نتج عنها رحيل خمسة من الأبناء في عمر الزهور دفعة واحدة جراء حادث سير أليم ألّم بهم في واحدة من أقسى فواجع حوادث الطرق عندنا، فيكفي النفوس الموجعة لأسرة الراحلين ما حدث لها ساعتها، وكيف واجهت ذلك الحادث المؤلم بصبر واحتساب، فلسنا بحاجة إلى إعادة نكش مواقع الألم، إلَّا أنَّه من الجيد أن نتوقف أمام «اللوحة" كما تخيلتها، ورُسمت في أذهاننا لوالد فُجع في فقد أبنائه الخمسة أمامه، فلم يكن منه كما عرفنا بعد الحادث، إلَّا أن قابل ذلك الأمر بقلب شجاع يعمره الإيمان، ويجمله الصبر والاحتساب، ما دعاني إلى تذكر كم توقفنا في تراثنا العربي عند قصص كثيرة لفواجع فقد الأبناء لشعراء بكوا رحيل أبنائهم، فأبكونا معهم، رغم مرور قرون من السنوات على قصصهم، إلَّا أنَّها كانت قصائد دامعة لعل من أشهرها بكائية ابن الرومي الشهيرة عندما بدأها مخاطبًا عينيه:

بُكَاؤُكُما يَشْفِي وَإنْ كَانَ لا يُجدِي   فَجُودَا فَقَدْ أوْدَى نَظِيرَكُما عِنْدِي

ألا قَاتَلَ اللهُ المَنَايَا وَرَمْيَهَا   مِنَ القَومِ حَبَّاتِ القُلوبِ عَلى عَمْدٍ

حتى قال:

تـوخَّى حمـامُ المَوتِ أوْسَـطَ صِـبْيَتِي فـلِـلـهِ كَيفَ اخْـتارَ وَاسِـطَةَ العِقْدِ

ومـا فجيعـة تلـك الأعرابيـة في فقـدها لولدها ببعيدة عن فاجعة ابن الرومي حين بكته قائلة:

يَـا قُرحَـةَ القَلْـبِ وَالأحْشَـاءِ وَالكَبِدِ يَـا لَـيـتَ أمَّـكَ لمْ تحْـبَـلْ وَلمَ تَـلِـدِ

لمَّـا رَأيْـتُـكَ قَـدْ أدْرِجْـتَ فِي كَـفَـنٍ مُـطـيَّـبًـا لـلـمَـنَـايَـا آخِـرَ الأبَـدِ

أيـقـنـتُ بَـعْـدَك أنِّي غَـيرُ بَـاقـيـةٍ وَكـيـفَ يَـبْقَى ذِرَاعٌ زَالَ عَنْ عَضُـدِ

كـانـت هـذه دموع الإعرابيـة على ولدها، وهذا حال أبي ذؤيب الهذلي عندما فقد أبناءه فرثاهم، وكان مما قال:

ولـقـد حـرصـت بـأن أدافـع عنهم وإذا المـنـيـة أقـبـلـت لا تُـدفـع

فـالـعـين بـعـدهـم كـأن جـفـونهـا كُـحـلـت بشـوك فـهـي عور تـدمع

وفي حالة والد الراحلين الدكتور إسماعيل بن محمد البشري، وجدتني أتوقف عند تلك اللوحة الشعرية التي رسـمها لنا من الصـبر والإيمان، وأحاطها بإطار من الأسـى والألم والحزن على وجع الفقـد، ومن يلومـه، ففقـده كـان موجعًا قاسـيًا، فقد ناجى ربه في مطلع بكائيته على أولاده الخمسة قائلًا:

ربَّـاهُ رُحْمَـاكَ إنَّ الحُـزْنَ مُـنْـبَـجِـسٌ ربَّـاهُ ربَّـاهُ لُـطْـفًـا مِـنْـكَ رَبَّـاهُ

إلى أن قال:

في فَقْدِكُم غَارَ معنى الأنس منكسـرًا والسَّـعـدُ يـنـدبُ مخذولًا مَـطَـايَـاهُ

يَا راحِلِين وفي قلـبي محبَّتُكُمْ قَـلـبِـي تَشَـظّـى فَويْلي مِنْ شَـظَايَاهُ

يــا را حِلـينَ وَ قَدْ كُنْتُمْ لَنا أَملًا كَـيفَ السَّــبيـلُ لِـكَـي تَبْقَى بَقايَاهُ

حتى قال محتزمًا بالصبر والرضا بالقدر:

أرجُوك ربَّاه صَبْرا أنتَ مُعتَمَدِي مَا خَاب يَا خَالِقِي منْ كُنـتَ مَولاهُ

فقد طلب الصبر ليقابل حجم المصيبة، وهو يشكو ما ألم به:

فَقَـدْ دَهَى الخَطْـبُ وَامْتَدَّتْ مُصــيبَتُنَا حَـتَّـى بَـكَـى الحُـزْنُ وَانْـثَلّـت زَوَايَاهُ

ما أصــدق مشــاعر الأبوة حين تنســاب على الورق حبًا، فما بالكم حين تنثال الســطور رثـاء؟!، إن فقـد الأبنـاء قاس على القلوب حارق للأفئدة، وما أصـــدق ذؤيب عندما قال: «وأولادنا مثل الجوارح أيها .. فقدناه كان الفاجع البيّن الفقد»، وابن عبد ربه ذابت حشاشة قلبه على فقده ابنه، حتى عزى نفسه في الصبر، رغم أن الصبر على فقد الأبناء محمود، فقال:

لا صـــبر لي بـعـده ولا جـلـد فـجـعـت فـيـه بـالصـــبر والجـلـدِ

يـا لـوعـة مـا يـزال لاعـجـهـا يـقـدح نـار الأســى عـلى كـبـدي

أعود لأقول، لم يكن للوحـة الراحلين أن تعْلق في قلوبنا وتتحول إلى حكاية تُروى في كل مجلس ومنتدى، ويتناقل فيها الناس فاجعة الحادثة، وصبر الأب والأم معًا، وينتهي الأمر هنا؛ بل كان بالأمس القريب تمام اللوحة واكتمالها بافتتاح «جامع الراحلين»، لقد شعرت أن تلك اللوحة الشـعرية من صـادق الرثاء اكتملت، لتكتمل معها القصة المكتوبة بجمال ذلك الوفـاء «وفـاء الأب لأبنـائـه الراحلين»، حين تمثل في بنائه مســجدًا على نيتهم، من أجل أن يســتمر ذكرهم، وتحضرــ ذكراهم في قلوب والـديهم ومحبيهم وأسرتهم، وفي قلـب كل من عرفهم، فقد رحلوا وهم ملء الســمع والبصرــ من والديهم وأسرتهم الصـغيرة والكبيرة، ولكي يسـتمر نهر الدعاء جاريًا إلى أبد الآبدين للراحلين، الذين سـبقونا إلى الخالق سبحانه وتعالى.

اكتملت اليوم اللوحة التي بدأت «بالفاجعة، فتبعها درس من الصبر، ثم ها هي تكتمل بقصة وفاء الوالد لأبنائه»، إنها «اللوحة الإيمانية" التي تقدم تفاصيلها دروسًا تروى من جديد في مجالسنا عن «قصة أب شهد موت أبنائه أمام عينيه، فكان صابرًا محتسبًا مؤمنًا راضيًا مع والدتهم المكلومة في فقد بنيها، ثم كان وفيًّا بهم وكأنه كان على عهد معهم ليبني لهم مسجدًا»، ليحيي ذكراهم في قلوب محبيهم وليصلهم أجر وثواب ذلك البناء المسجد، فرحم الله الرَّاحلين، وتقبل من والدهم أجر ما عمل، وأنزل الصبر على قلبه وقلب والدتهم، وهذه سنة الحياة الماضية فينا فكلنا على موعد مع الرحيل، ولا فرق بيننا وبين من رحلوا إلَّا كما قال الشاعر وبه اختم:

وما نحن إلا مثلهم غير أننا　　أقمنا قليلا بعدهم ثم نرحلُ

وورد في كتاب "تاريخ دمشق" لابن عساكر أن رجلا من بني عبس وفد على الوليد بن عبد الملك فسأله عن حاله وعن سبب ذهاب عينه فقال: ما كان في الأرض عبسي أكثر مني مالا وولدًا وأهلا فلم يبق لي مال ولا أهل ولا ولد إلا ذهب به إلَّا بيتًا لي صغيرًا وبعيرًا فحملت الصبي وقدت البعير فوضعت الصبي وتبعته فنفحني برجله ففقأ عيني ورجعت إلى ابني فإذا الذئب بلغ في بطنه فقال الوليد: اذهبوا بهذا إلى عروة بن الزبير ليعلم أن في الدنيا من هو أعظم مصيبة منه.

الفصل التاسع

مختارات

من شعر الصبر والرثاء

- قال أبو الحسن التهاميّ مِن قصيدةٍ له طويلة، يرثي فيها صغيرًا له قد مات:

حُكمُ المَنِيَّةِ في البَرِيَّةِ جارِ ... ما هَذِهِ الدُنيا بِدار قَرارِ
بَينا يَرى الإِنسانُ فيها مُخبِرًا ... حَتّى يُرى خَبَرًا مِنَ الأَخبارِ
طُبِعَت عَلى كَدَرٍ وَأَنتَ تُريدُها ... صَفوًا مِنَ الأَقذاءِ وَالأَكدارِ
وَمُكَلِّفُ الأَيامِ ضِدَّ طِباعِها ... مُتَطَلِّبٌ في الماءِ جَذوة نارِ
وَإِذا رَجَوتَ المُستَحيلَ فَإِنَّما ... تَبني الرَجاءَ عَلى شَفيرٍ هارِ
فَالعَيشُ نَومٌ وَالمَنِيَّةُ يَقظَةٌ ... وَالمرءُ بَينَهُما خَيالٌ ساري
وَالنَفسُ إِن رَضيَت بذَلِكَ أَو أَبَت ... مُنقادة بِأَزمَّةِ الأَقدارِ
فاقضوا مآربكم عُجَالًا إِنَّما ... أَعمارُكُم سِفرٌ مِنَ الأَسفارِ
وَتَراكَضوا خَيلَ الشَبابِ وَبادِروا ... إن تُستَرَدَّ فَإِنَّهُنَّ عَواري
فالدهر يَخدَع بِالمنى وَيغُصُّ إِن ... هَنّا وَيَهدِمُ ما بَنى بِبَوارِ
ليسَ الزَمانَ وَإِن حرصت مُسالِمًا ... خُلُق الزَمانِ عَداوَة الأَحرارِ
إِنّي وُتِرتُ بِصارِمٍ ذي رَونَقٍ ... أَعدَدتَهُ لِطِلابَةِ الأَوتارِ
أُثني عَلَيهِ بِأَثرِهِ وَلَو أَنّهُ ... لَم يَغتَبِط أَثنَيتُ بِالآثارِ
يا كَوكَبًا ما كانَ أَقصَرَ عُمرَهُ ... وَكَذاكَ عُمرُ كَواكِبِ الأَسحارِ
وَهِلال أَيّامٍ مَضى لَم يَستَدِر ... بَدرًا وَلَم يمهل لِوَقت سِرارِ
عَجِلَ الخُسوف عَلَيهِ قَبلَ أَوانِهِ ... فَمَحاهُ قَبلَ مَظَنَّة الإِبدارِ
فَكَأَنَّ قَلبي قبره وَكَأَنَّهُ ... في طَيِّهِ سِرٌّ مِنَ الأَسرارِ
إِن يُحتَقر صِغَرًا فَرُبُّ مُفَخَّمٍ ... يَبدو ضَئيل الشَخصِ لِلنُّظّارِ
إِنَّ الكَواكِبَ في عُلُوِّ مَكانِها ... تُرى صِغارًا وَهيَ غَيرُ صِغارِ
أَبكيهِ ثُمَّ أَقولُ مُعتَذِرًا لَهُ ... وُفِّقتَ حينَ تَرَكتَ آلامَ دارِ
جاوَرتُ أَعدائي وَجاوَرَ رَبَّهُ ... شَتّان بَينَ جِوارِهِ وَجِواري

أَشكــو بُعـــادك لي وَأَنت بَمَوضِـــعٍ لولا الرَدى لَسَمِعـــــتَ فيـــهِ سَراري

وَالشَـــــــرق نَحوَ الغَربِ أَقرَبُ شُـقة مِن بُعـــــدِ تِلكَ الخَمسَـــةِ الأَشــبــارِ

هَيهات قَد علقتك أَشــــراك الــــرَدى واعتـاقَ عُمـــرَكَ عائـــــق الأَعمارِ

وَلَقَد جَرَيتَ كَما جـــــريتُ لِغـــايَةٍ فبلغتــــــــها وَأَبـوكَ في المِضـمــارِ

فَــــإِذا نَطَقتُ فَأَنت أَوَل مَنطِقــي وَإِذا سكــــــت فَأَنــتَ في إِضمـــاري

أَخفـــــي مِنَ البُرَحـــاء نارًا مِثلَـــما يَخفــــى مِنَ النــــارِ الزِنـادَ الـــواري

وَأُخَفِّــــضُ الزَفــرات وَهيَ صَواعِـــدٌ وَأُكَفكِفُ العَــبرات وَهـــــيَ جَواري[1]

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب للهاشمي، ٢/ ٢٨٣.

رثاء الأب

الشاعر السوري حسين العبد الله

لو أمطرت ذهبًا من بعد ما ذهبا   لا شـــيء يعدل في هذا الوجود أبا

أغفو وأمنيتي ســرٌ ينام معي   أصـــحو وإذ بأبي ما رمتُ قد جلبا

كفَّاه غيمٌ وما غيمٌ ككف أبي   لم أطلب الغيث إلا منهما انسكبا

لم يحنِ ظهر أبي ما كان يحمله   لكن ليحملني من أجلي انحدبا

مهما كتبتُ به شـعرًا فإنَّ أبي   في القدر فوق الذي في الشـعر قد كُتبا

فالبرُ قرضٌ إذا أقرضـته لأبٍ   يوفيكه ولدٌ والبرُ ما ذهبا

لا تنتظر موته، صل في الحياة أبًا   لاينفع الدمع فوق القبر إن سُكبا

- قصيدة قلتها رثـــــاءً في وفاة صديقي وعزيزي وفي مكانة والدي رحمه الله: الشيخ / سعيد بن ناصر الشريف -رحمه الله آمين- ت ١٤٢٧هـ:

هاضــت هواجيســي وغنيت بالقــاف ... ما هو طرب لكن مـــن ما جــرا لي
عيني تهل الدمع والقلـــــب رجــاف ... الله وأكـــبر يا صروف الليـــــــالي
ينعى جنوب الجزيرة شيخ الأشــــراف ... وينعى على فرقاه شرقها والشـمـــالي
وشلون ما نحزن على قرم الأشـــــراف ... وشــلـون مـا يـنعى البحر والرمـالي
طلق الحجاج وشـــايل كل الأوصـاف ... مقـــدم بنى عمه كـــريم السبالـي
عي وعارف لا حظـر سوق عـــراف ... يرسى كما ترسى رواســـــي الجبـالي
من لاذا به من قشــر الأيام ما خـــاف ... دمــــه ومالـــه للرفيـــق الموالـــي
وليا حكم يحكم وحكمه بالأنصـــاف ... وليا عـــطـا ما من والـراس عالـي
واليوم أبو ناصر رحل والنظر عـــاف ... عاف الحياة اللـــي تشد الرحـــالي
مرحوم يـا معـــروف في كـل ميقـاف ... أنا أشـهد أنك مكســبي وراس مالي
والمـوت حق ولاعن الموت محــراف ... والدايـــم الله والبشــر للزوالـــي
يالله ياللى أمرك من النون والكــــاف ... ترحــــم هزبرًا وتسكنه في الجنـاني
وحنا وراه شـيلنا فــــوق الأكتــاف ... الله يصبرنــا على فقــــد غالـــي
وصـــلاة ربى عد من حج وأطـــاف ... وإعــداد ما هلت مـــزون الخيالـي

- وقالَ أبو البقاء صالح بن شريف الرندي، في قصيدةٍ له يرثي فيها الأندلس:

لِكُلِّ شَيءٍ إِذا ما تَمّ نُقصانُ ... فَلا يُغَرَّ بِطيبِ العَيشِ إِنسانُ

هِيَ الأُمُورُ كَما شاهَدتُها دُوَلٌ ... مَن سَرّهُ زَمَن ساءَتهُ أَزمانُ

وَهَذِهِ الدارُ لا تُبقي عَلى أَحَدٍ ... وَلا يَدُومُ عَلى حالٍ لَها شانُ

يُمَزِّقُ الدَهرُ حَتماً كُلَّ سابِغَةٍ ... إِذا نَبَت مشرَفِيّات وَخرصانُ

وَيَنتَضي كُلَّ سَيفٍ للفَناء وَلَو ... كانَ ابنَ ذي يزَن وَالغِمد غمدانُ

أَينَ المُلوكُ ذَوي التيجانِ مِن يَمَنٍ ... وَأَينَ مِنهم أَكاليلٌ وَتيجَانُ

وَأَينَ ما شادَهُ شَدّادُ في إِرَمٍ ... وَأَينَ ما ساسه في الفُرسِ ساسانُ

وَأَينَ ما حازَهُ قارونُ من ذَهَبٍ ... وَأَينَ عادٌ وَشدّادٌ وَقَحطانُ

أَتى عَلى الكُلِّ أَمرٌ لا مَرَدّ لَهُ ... حَتّى قَضوا فَكَأنّ القَوم ما كانُوا

وَصارَ ما كانَ مِن مُلكٍ وَمِن مَلِكٍ ... كَما حَكى عَن خَيالِ الطَيفِ وَسنانُ

دارَ الزَمانُ عَلى دارا وَقاتِلِهِ ... وَأَمَّ كِسرى فَما آواهُ إِيوانُ

كَأَنَّما الصَعبُ لَم يَسهُل لَهُ سببٌ ... يَوماً وَلا مَلَكَ الدُنيا سُلَيمانُ

فَجائِعُ الدُهرِ أَنواعٌ مُنَوَّعَةٌ ... وَلِلزَمانِ مَسرّاتٌ وَأَحزانُ

وَلِلحَوادِثِ سلوانٌ يُهوّنُها ... وَما لِما حَلَّ بِالإِسلام سلوانُ

دهى الجَزيرَة أَمرٌ لا عَزاءَ لَهُ ... هَوَى لَهُ أُحُدٌ وَانهَدَّ ثَهلانُ

أَصابَها العَينُ في الإِسلامِ فارتَزأَت ... حَتّى خَلَت مِنهُ أَقطارٌ وَبُلدانُ[1]

---

(١) نفح الطيب للمقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر- بيروت - ج٤/ ٤٨٧.

- وقال بهاءُ الدين زهير، مِن قصيدة له يرثي فيها ولدَهُ وقد ماتَ صبيًّا:

أَراكَ هَجَرتَني هَجرًا طَويلًا ... وَما عَوَّدتَني مِن قَبلُ ذاكا

عَهِدتُكَ لا تُطيقُ الصَبرَ عَنّي ... وَتَعصي في وَدادي مَن نَهاكا

فَكَيفَ تَغَيَّرَت تِلكَ السَجايا ... وَمَن هَذا الَّذي عَنّي ثَناكا

فَلا وَاللهَ ما حاوَلتَ عُذرًا ... فَكُلُّ الناسِ يُعذَرُ ما خَلاكا

لَقَد حَكَمَت بِفُرقَتِنا اللَيالي ... وَلَم يَكُ عَن رِضايَ وَلا رِضاكا

فَلَيتَكَ لَو بَقيتَ لِضُعفِ حالي ... وَكانَ الناسُ كُلُّهُمُ فِداكا

يَعِزُّ عَلَيَّ حينَ أُديرُ عَيني ... أُفَتِّشُ في مَكانِكَ لا أَراكا

وَلَم أَرَ في سِواكَ وَلا أَراهُ ... شَمائِلَكَ المَليحَةَ أَو حِلاكا

خَتَمتُ عَلى وِدادِكَ في ضَميري ... وَلَيسَ يَزالُ مَختومًا هُناكا

لَقَد عَجِلَت عَلَيكَ يَدُ المَنايا ... وَما اِستَوفَيتَ حَظَّكَ مِن صِباكا

فَلَو أَسَفي لِجِسمِكَ كَيفَ يَبلى ... وَيَذهَبُ بَعدَ بَهجَتِهِ سَناكا

وَما لي أَدَّعي أَنّي وَفِيٌّ ... وَلَستُ مُشارِكا لَكَ في بَلاكا

تَموتُ وَما أَموتُ عَلَيكَ حُزنًا ... وَحَقَّ هَواكَ خُنتُكَ في هَواكا

وَيا خَجَلي إِذا قالوا مُحِبٌّ ... وَلَم أَنفَعكَ في خَطبٍ أَتاكا

أَرى الباكينَ فيكَ مَعي كَثيرًا ... وَلَيسَ كَمن بَكى مَن قَد تَباكى

فَيا مَن قَد نَوى سَفَرًا بَعيدًا ... مَتى قُل لي رُجوعُكَ مَن نَواكا؟

جَزاكَ اللهُ عَنّي كُلَّ خَيرٍ ... وَأَعلَمُ أَنَّهُ عَنّي جَزاكا

فَيا قَبرَ الحَبيبِ وَدِدتُ أَنّي ... حَمَلتُ وَلَو عَلى عَيني ثَراكا

سَقاكَ الغَيثُ هَتّانًا وَإِلا ... فَحَسبُكَ مِن دُموعي ما سَقاكا

وَلا زالَ السَلامُ عَلَيكَ مِنّي ... يَرُفُ مَعَ النَسيم عَلى ذُراكا[1]

(١) ديوان بهاء الدين زهير، ص١٧٨.

- ويقول كعب بن مالك يبكي حمزة بن عبد المطلب وقد استشهد في أحد:

بكيت عينـــي وحـــق لها بكاهـــا	وما يغـــني البكـاء ولا العويـــل
علـــــى أسـد الإلـه غداة قالـوا	أحمـــزة ذاكـــم الرجـــل القتيـــل
أصيب المسلمـــون به جميـــعًـــا	هنـاك وقد أصيـــب بـــه الرســـول
أبـــا يعلى لك الأركـــان هـــدت	وأنت الماجـــد الـــبر به الرســـول
عليك ســـلام ربك في جنــــان	مخـــالطها نعيـــم لا يـــزول
ألا يا هاشـم الأخـيـــار صـــبرًا	فكـل فعالكـــم حســـن جمـــيل
ألا مـــن بلـــغ عـــني لـــؤيًـــا	فبعـــــد اليـــوم دائلـة تـدول
وقـد قيل اليوم ما عرفـــوا وذاقـــوا	وقائعنـــا بهـــا يشفـــى الغليـــل
نسيتم ضربنا بقلــــيب بـــدر	غـــداة أتاكـــم المـــوت العجيـل
غـــداة ثـــوى أبا جهـل صـريعًـا	عليــه الطـــير حائمـة تجـــول
وعتبــــة وابنـه خـــرا جميـعًـــا	وشيبـــة عضـه السيـف الصقـيل
ألا يا هـــنـــد لا تبـــدي شمـــاتًا	بحمـــزة إن عـــزكـــم ذليـــل
ألا يا هنـــــد فابكـــي لا تملـــي	فأنت الوالـــه العـبرى الهبـــول

ويقول آخر:

يجـــزيـــك رب العالمـــين بفضلـه	عن أمـــة الإســـلام أجـــرًا وافـيا
والله لولا اللهُ يؤنسُ وحدتـــــــي	ويمدني بالصـــبر عنـد مصابـــيا
لسئمتُ نفسي بعد مـــوت أحبـــتي	ولَمَا استطعـت بأن أعـيشَ حـياتيـا

وقال كريم الشهراني الخثعمي على قبر حجر بن عدي:

كفى بثواء القبر بعدًا لهالك	وبالموت قطاعًا لحبل القرائن

قصيدة رثاء في ابني محمد – رحمه الله – من أخيه فيصل بن علي آل زحيفة:

بكت العيــونُ على محـــــمدٍ مثلمـــا ... بكت القلـــوبُ إذا الأجل وافـــاهُ

من بعد عمـر في الهـــــدايةِ والتقـى ... والعلم والأخلاق قـد أمضـــــاهُ

الله حيـــاه بـــحســن طويـــــــه ... وعلــــى هدي القرآن قد أحيـــاهُ

قـــد كان بـــــر الوالــدين مؤمــلا ... في الخـــير كـم جادت به يمنـــاهُ

ليت الشبــــــاب كمثلـه في بـــره ... بالوالــدين فيقتــــدون خطـــاهُ

تتوهـــج الكلمات إن قــرنـــت بـه ... وتقــــــل من أمثـــاله الأشيـــاهُ

فهـو الحبيب وإن تغيَّب في الثـــــرى ... وطـــواه قيـــد مظلـم وحـــواهُ

وحـــــزن أبي كحزن يعقـوب الـذي ... عميت لشـــــدة حـــزنه عينـــاهُ

لكنه ألـــــــم الفـــراق ووحشـــة ... تنتـــابني شوقـــًا إلى رؤيـــــاهُ

فاجعـــــــل مقـام الصالحين مقامـه ... في جنـــــــة الفــــردوس يا اللهُ

كأويــــس القــــرني في روضاتهـــا ... امنحـــه يا مـــولاي مـا يهـــواهُ

فلقد أتـــــــاك بجوعه لك صائمًـا ... فاجعـــــل رضـاك فطوره وسقـاهُ

واربـــــط على قلب أبي فإن مصابـه ... يا أرحـــم الرحمــاءِ قد أدمـــاهُ

وأجزل ثــواب جميع مــن عزى ومــن ... واســـى وأرســـل بالعـزاء رثـاهُ

ثم الصـلاة على الشفـيع لنــــا إذا ... خرست أمام الرضـــــا الأفـواهُ

٢- مَا قِيلَ فِي الصّبرِ مِن الأشعارِ:

- **قال الإمام الشافعي:**

دَعِ الأَيــــــّامَ تَفــعَـلُ ما تَشـاءُ ... وَطِـــــب نَفسًـــا إِذا حَكَمَ القَضــاءُ

وَلا تَجـــــــزَع لِحادِثَـــةِ اللَيالـــي ... فَمــا لِحَــوادِثِ الدُنـــيـــا بَقـــاءُ

وَكُن رَجُـــــــلًا عَلى الأَهوالِ جَلدًا ... وَشيمَتُـكَ السَـــــماحَـةُ وَالـوَفاءُ[1]

- **قال إبراهيم بن عبد الرحمن السُّؤالاتي:**

تصبَّرْ ففي اللأواءِ قدْ يُحـمـدُ الصَّـبرُ ... ولولا صرفُ الدَّهرِ لم يعرفِ الحـــرُّ

وإنَّ الــذي أبلـى هوَ العونُ فانتـدِبْ ... جميلَ الرِضــــــا يبقى لكَ الذِّكرُ

وثـقْ بالَّـذي أعطـى ولا تكُ جازعًا ... فلـيسَ بحــزم أن يروِّعكَ الضُّــرُّ

فــــلا نِعــمٌ تبقــى ولا نِقـــمٌ ولا ... يــدومُ كِلا الحاليـنِ عسـرٌ ولا يسرُ

تقلُّـــبُ هـــذا الدَّهــرِ ليــسَ بدائمٍ ... لــديهِ معَ الأيـــام حلوٌ ولا مــرُّ[2]

- **وقال أبو الفتح البُستي:**

تَصــبَّرْ إذا مـا نابَ كُـــــــرهٌ فرُبَّما ... يسوءُكَ دَهـــــرٌ ثم يُؤنــسُ غِبُّهُ

وأجـــــــرُ الفَتى فيما يَمُضُّ فؤادَهْ ... ولا أجـرَ فيمـــا يَشتـهي ويُحِبُّـهُ

- **وقالت الخنساءُ:**

فَإِن تَصـبِرِ النَفــسُ تُلقَ السُــــرورَ ... وَإِن تَجـــــزَع النَفسُ أَشقـــى لَهَـــا

نُهينُ النُفــوسَ وَهَــوْنُ النُفــوسِ ... يَـــــــومَ الكـــــريهَةِ أَبْقَى لَهَـــا

وَنَعلَـــــمُ أَنَّ مَنـــايـــا الرِجــالِ ... بالِــــــغَـــةٌ حَيــثُ يُحلى لَهَــا[3]

- **وقال المفتي فتح الله:**

تَصَبَّرْ فَإِنّ الصبرَ أَجمـــــــلُ بالحــــرِّ ... وَأَليـقُ بِالإِنسانِ في الســرِّ وَالجـهــرِ

وَحَسبُ الفتى عِندَ المَصـائِبِ صَــــبرهُ ... فَإِنّ اِصطِبارَ المـَرءِ أَدعـى إِلى الأجــرِ

وَلَم يَكُ فيمــا يَـــــرتَدي المَــرء حـلَّةً ... تُجمــــــِّلــهُ أَسنى وَأَغلـى مِنَ الصّبرِ

وَسَلِّمْ إِلى حُكـــمِ القَضـــاءِ فَــإِنَّــهُ ... عَلى وفقِ ما قَد شـاءَ ربّ الوَرى يَجري

وَكُـــــــن راضِيًا فيما بِهِ اللهَّ قَــد قَضـى ... فَما لِســـوى مَـولاكَ شَيءٌ مِــنَ الأمرِ

---

(١) ديوان الإمام الشافعي، ص١٨.

(٢) جواهر الأدب، ٢/ ٤٧٧.

(٣) ديوان الخنساء، ص١٠٠.

لَــهُ الحُكـــــمُ وَالتّدبيرُ وَالأمـــرُ كلُّـــهُ   وَما شاءَ مِن نَفــــع وَما شاءَ مِن ضرِّ

وَفي يَـــــدِهِ الإِحــياءُ وَالمَـوتُ وَالفـنا   وَفي يَدِهِ التّقــــديرُ لِلخَــــيرِ والشـرِّ

هُوَ الفــاعِــلُ المُخـــتارُ جَلَّ جَـلالَهُ   وَما هُـــــوَ بِالمَجـبورِ يَفعـلُ بالجـبرِ

- **وقال بعضُهم:**

وَإِذَا مَسَّــكَ الزّمَـــانُ بِضُــــــرٍّ   عَظُمَــــتْ دُونَـهُ الخُطـوبُ وَجَلَّتْ

وَأَتَتْ بَعــــــْدَهُ نَـوائبُ أُخْــرَى   سَئِـــمَــتْ نَفْسُـكَ الحياةَ وَمَلَّتْ

فَاصْطــــبرْ وَانْتظِـــرْ بُلوغَ الأَمَانِي   فَالـرّزَايَـا إِذَا تَـــوَالَـتْ تَـــوَلَّتْ

وَإِذَا أَوْهَـنَتْ قُــــواكَ وَجَـــلَّــتْ   كَشَـــــفَتْ عَـنْكَ جُملةً وَتَخَلَّتْ[1]

- **وقال الآخر:**

إِذَا مَا أَتَـــاكَ الدَّهــــرُ يَـــوْمًا بِنكْبةٍ   فَأَفـــــْرِغْ لَهَا صَبْرًا وَوَسِّعْ لَهَا صَدْرَا

فَإِنَّ تَصَــاريفَ الزّمَـانِ عَجـــــيبةٌ   فَيَوْمًا تَرَى يُسْرًا وَيَوْمًا تَرَى عُسْـــرَا[2]

- **وقال خليل ناصيف اليازجي:**

إذا أنت لـم تصبر عَلى الدهـر طائِعًـا   صـبرتَ بِهِ كرهًا فشـرٌّ عَلى شَـــرِّ

وإن لم يعــــــزِّ المَرءُ في الخـطب نفسُهُ   فتعـــزيةُ الأصحاب ضَربٌ من الهذرِ

- **وقال بعضُهم:**

بَنَـــــى اللهُ للأخــــيَــارِ بيتًا سماؤهُ   همـومٌ وأحــزانٌ وَحِيطَانُـه صبــرُ

وَأَدْخَلْـهمُ فِيهِ وَأَغْلَــــقَ بَابَــــهُ   وَقَالَ لَهـــُمْ: مفتـاحُ بَابِكمُ الصَّــبْرُ[3]

- **وقال آخر:**

(١) المستطرف في كل فن مستطرف، ١/ ٣١٤.

(٢) المستطرف في كل فن مستطرف، ١/ ٣١٥.

(٣) جواهر الأدب، ٢/ ٤٧٨.

يا صاحب الهم إن الهم منقطع — أبشر بخيرٍ فإن الفارج الله

اليأس يقطع أحياناً بصاحبه — لا تيأسن فإن الكافي الله

الله يحدث بعد العسر ميسرة — لا تجزعن فإن الكاشف الله

إذا بليت فثق بالله وارضَ به — إن الذي يكشف البلوى هو الله

والله ما لك غير الله من أحدٍ — فحسبك الله، في كلِ لك الله

- وقال زين العابدين بن الحسين:

فإذا بليت بعسرة فاصبر لها — صبر الكريم فإن ذلك أسلمُ

لا تشكون إلى الخلائق إنما — تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحمُ

- وقال آخر:

فاصبر لكل مصيبةٍ وتجلّد — واعلم بأن المرء غير مخلّدِ

أو ما ترى أن المصائب جمة؟ — وترى المنية للعباد بمرصدِ

من لم يُصب ممن ترى بمصيبةٍ؟ — هذا سبيلٌ لست عنه بأوحدِ

فإذا ذكرت مصيبةً ومصابها — فاذكر مصابك بالنبي محمدِ

قصيدة حوار مع القبر
الشاعر عوض الله بن حميد السلمي (أبومشعاب)

قال الشاعر:

يَا قَبِرْ قِلْ لي عَنْ زِمَانِ الإقَامَةْ — كَمْ عَامٍ يِقْدِرْ يِنْتِقِلْ مِنَّكْ رَاعِيكْ

وِدّي تُوَضِّحْ لِي شُروطْ السَّلامَةْ — مِنْ ضَمّتَكْ مِنْ ظُلّمَتِكْ مِنْ بِلَاوِيكْ

رد القبر:

يَـا ذِيـب مِنْ يِنْشِــدْ يِثْمَنْ كِلَامَـهْ   رَاجِعْ خَطِيَّـاتَـكْ وْرَاجِعْ حَسَــانِيـكْ

تِبْقَـى بْجَـوفِـي لَـيـنْ يَـومْ الـقِـيَـامَـةْ   مَحَـدنٍ يْجِي عَنْـدَكْ ولَا يِتَّصِــلْ فِيـكْ

الشاعر:

وانْ كَـانَـتْ الأعْمَـالْ خَـامَـةْ وْخَـامَـةْ   مِنْهَا ذَهَبْ صَــافِي وْمِنْهَا سِــرَامِيكْ

مُمْكِنْ تِـفـيـدْ الـمَـعْـذِرَةْ وِالـنَّـدَامَـةْ   بَعْـدْ نِزُولِي بِـالكِفَنْ في ضُــوَاحِيـكْ

القبر:

فَوْقَـكْ ليَـا جَـاتْ النِّصَــايِـبْ عَلامَـةْ   ثِنْتَينْ تُوضَــعْ عِنِدْ رَاسَــكْ وْرِجْلَيكْ

مـا عـاد ينفعـك العتـب والملامـة   من حين روحـك ترتفع عنـد بـاريـك

الشاعر:

يَـا قَبِـر مَـا دَوَّرِتْ مِنَّـكْ الـكَـرَامَـةْ   أرْجُـو عَـفْـو رَبِّـي وَلَانـي بِـرَاجِـيـكْ

اللي بِيـدَيـهْ الأمِرْ مَـاسِــكْ زِمَـامَـهْ   رَبِّ المُلُوكْ، وْرَبِّ كِـلِّ المِمَـالِيـكْ

القبر:

يَـا ذِيـبْ في هَـذَا التَّحَـدِّي غَشَــامَـةْ   بِلا عَمَـلْ مَـا هُو مُنَـاسِــبْ تَحَـدِّيـكْ

أوْصِــيـكْ عَهْـدَ اللهْ صُــونْ التِزَامَـهْ   مِنِّـي وِمِنْ بَعْـدِي مِن النَّــارْ يِنَجِّيـكْ

الشاعر:

يَـا قَبِرْ زَوَّدِت المِخَـاوِفْ جِسَـــامَــةْ   زِدْني نِصَـــايِحْ نَـافِعَـةْ قَبِـلْ مَـاجِيـكْ

أخَـافْ أجِي لَـكْ فَوقْ ظَهْرِي غَرَامَـةْ   وْتِسْـــدِيدْهَا مَـا يَقْبَلْ الـدَّفِعْ بِـالشِّـــيكْ

القبر:

اقْـرَا كِـتَـابْ الله، وَافْـهَـمْ نِـظَـامَـهْ   وَتَلْقَى الـذِي يَعْنِـي لْغَيرَكْ وْيَعْنِيـكْ

واخْتَـارْ مَـا يِغْنيكْ واِمْسِــكْ خِطَـامَـهْ   مَـا دُمـتْ حَي خَطَـامْ الأعْمَـالْ بِيـدَيـكْ

رثـاء

الشاعر عبد الله بن علي بن حبلان يرثي ابنه محمد رحمه الله يصف فيها حاله بعد الحادث وموقف بعض الأقارب منه.

الـبَـارْحَـةْ نَـامُـوا جِمِيـعْ المَـخَـالِـيـقْ   وْعَـبرَاتْ عَـيـنِـي عَـنْ مِـنَـامِـي كِـفَـتْـهَـا

وْقَـلبِي تِصَـــــرَّمْ مِنْ خَفَايا المَعَالِيقْ   وْكَـبْـدِي مِخَـالِـيـبْ المِـنَـايَـا خَـذَتْهَـا

وَالشَّـيـبْ فَـرَّقْ مَـفْـرَقْ الـرَّاسْ تِـفْرِيقْ   وِالـرُّوحْ بـقْـعَـا بِـالمِصَـايِـبْ غَـزَتْهَـا

وَأصِـفِّـقْ بْكَفِّي الأيْمَنْ الخَدْ تِصْـفِيقْ   وْمَـوجْ الـبِـحَـرْ الأحْمَـرْ دُمُـوعِـي صِـفَـتْـهَـا

أبْكِي عَلَى فِرْقِةْ كِبيرْ المِطَاليقْ   يَا عِزْوِتِي الآفَاقْ ضَاقَتْ سِعَتْهَا

لُو رَافَقْتَكْ رِكَابْنَا بِالصَّنَادِيقْ   والعَاصِفَةْ مَرَّتْ عَليَّ ونْقِلَتْهَا

أخيرْ مِنْ مَرْقَا طُويلْ الشُّوَاهِيقْ   وأخيرْ مِنْ لَيلَةْ خَمِيسْ سِرَتْهَا

رُوحَك وْدَمْعِي حَرَّقْ الخَدْ تِحْرِيقْ   وَأيَّامْ عِشْرِتَكْ العَزِيزَةْ عزَتْهَا

عَيني وْفَرَّقْنَا بِعيدْ الطُّوَارِيقْ   فِجِيعَة أسْرَة حَبيبْ شِعَتْهَا

كُنْتْ أعْتزِي بالقَرِمْ لِيشَحْذِبْ الرِّيقْ   والِيَومْ أمَانِينَا الجِمِيعْ طْمِسَتْهَا

دِنْيَا مِعَ الأنْذَالْ تِعْطِي مُوَاثِيقْ   وِالَّا الرِّجَالْ الطَّيبين اجْرَحَتْهَا

بقْعَة تجِرْ ثْيَابْهَا لِلْعَشَاشِيقْ   قَومْ تِصْبِحْهَا، وْقَومْ هْجَدَتْهَا

ناس تِعِيشْ بْنِعْمة طُيورْ بَطْرِيقْ   وْنَاسْ مَقَادِيرْ الدُّهُورْ خْرَشَتْهَا

ونَاسْ تْرُومْ المَرْجَلَةْ بِالتُّوافِيقْ   وْنَاسْ تَقْطَعْ رَحِمْهَا مِنْ صِلَتْهَا

العِزْ تَطْلَعْ بَهْ وْحَيلْ الصُّوَاعِيقْ   والذِّلْ مجْمُوعَةْ عْيُوبْ رضَتْهَا

نَفْسِ الرِّدِي تَرْضَى الهوَانْ بِتْشَاوِيقْ   تَرْضَى العِلُومْ الهَينِةْ وِكِسْبَتْهَا

وِالا الـقُـرُومْ أ ْهلْ السِّــلُـومْ المِشَــافِـيقْ تِشْــفِـقْ عَـلى الـعَـلْـيَـا بْـعَـزِمْ أدْرِكَـتْـهَـا

وْصَـــلاةْ رَبِي عَـدْ نَـوضْ الـبِرَارِيـقْ وِعْـدَادْ مَـا خَـطَّـتْ حْـرُوفْ قِـرَتْهَـا

أمَّـة نَـبـي حَـقَّـقْ الحَـقْ تِحْـقِـيـقْ بِـأمْـرِ الإلَـهْ وْسِـــنَّـة وَضَّـــحَـتْـهَـا

عَـلَى الـنِّـبـي صَـلُّـوا صَـلاةْ بِتِصْـدِيقْ صَــلُّـوا بِـمَـبْـدَاهَـا، وْصَــلاة خْـتِـمَـتْـهَـا

قصيدة الشاعر أبي العتاهية

نَـأتِي إلى الـدُّنْـيَـا وَنَـحْـنُ سَـوَاسِـيَـةْ طِـفْـلُ المِـلُـوكِ كَـمِـثْـلِ طِـفْـلِ الحَـاشِـيَـةْ

وَنُـغَـادِرُ الـدُّنْـيَـا وَنَـحْـنُ كَـمَا تَـرَى مُـتَشَــابِهُـونَ عَـلَى قُـبـورِ حَـافِـيَـةْ

أعْـمالُـنَـا تُـعْـلِي وَتُخْـفِـضُ شَــأْنَـنَـا وَحِسَــابُـنَـا بِـالحَـقِّ يَـومَ الـغَـاشِـيَـةْ

حُــوْرٌ وَأَنْهَــارٌ، قُصُــورٌ عَــالِـيَـةْ وَجَـهَـنَّــمٌ تُصْـلَى، وَنَـارٌ حَـامِـيَـةْ

فَاخْتَرْ لِنَفْسِـكَ مَا تُحِبُّ وَتَبْتَغِي مَـادَامَ يَـومُـكَ وَالَّـلـيَـالِي بَـاقِـيَـةْ

وَغَـدًا مَصِــيرُكَ لَا تَـرَاجُـعَ بَـعْـدَهُ إمَّـا جِـنَـانُ الخُـلْـدِ أوْ فِي الهَـاوِيَـةْ

ويقول الشاعر محمد بن بشر في الصبر:

إنَّ الأمورَ اذا اشْتَدَتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْها كُلَّ مَا ارْتَجَا

لا تَيْأَسَنَّ وَإنْ طَالَتْ مَطَالِبُهُ إذا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أنْ تَرَى فَرَجَا

وللشاعر زهير بن أبي سلمى في الصبر على فراق الأحبة:

ثلاثٌ يعزُّ الصبرُ عندَ حُلولِهَا ويُذْهَلُ عَنْهَا عَقْلُ كُلِّ لَبِيبِ

خُروجُ اضْطرارٍ مِنْ بِلادٍ يُحِبُّهَا، وَفُرْقَةُ إخْوَانٍ، وَفقْدِ حَبِيبِ

الشاعر ابن نباتة:

صبرًا على نُوبَ الزما ن، وإنْ أبَى القلبُ الجَرِيحْ

فَلِكُلِّ شيءٍ آخِرٌ إمَّا جَمِيلٌ أوْ قَبِيحْ

الشاعر أبو الأسود الدؤلي:

وإنَّ امْرءًا قَدْ جَرَّبَ الدَّهرَ لمْ يَخَفْ تَقَلُّبَ عَصْرَيهِ لَغَيرُ لَبيبِ

فَمَا الدَهرُ وَالأيَّامُ إلا كَما تَرَى رَزِيَّةُ مَالٍ أوْ فِرَاقُ حَبيبِ

من كتاب: المستطرف من كل فن مستظرف لشهاب الدين الإبشيهي

الـدَّهْرُ أدَّبَـنِـي، وَالصَّـــبْـرُ رَبَّـانِـي وَالـفَـوتُ أقْـنَـعَـنِـي وَالْـيَـأسُ أغْـنَـانِـي

وَحَـنّـكَـتْـنِـي مِـنَ الأيَّـامِ تَـجْـرِبَـةٌ حَتَّى نَـهَيْـتُ الـذِي قَـدْ كَـانَ يَـنْـهَـانِـي

قصيدة زين العابدين بن علي بن الحسين في رثاء الذات

لـيس الغريـبُ غريـبَ الشـــامِ واليمنِ   إنَّ الـغـريـبَ غـريـبُ الـلحـدِ والكفنِ

إنَّ الـغــريــبَ لــه حــقٌّ لــغــربــتــهِ   عـلى المـقـيـمين في الأوطـانِ والسـكنِ

لا تــنــهــرنَّ غــريــبًــا حــالَ غــربــتــهِ   الـدهـرُ يـنـهـرُهُ بـالـذُّلِ والمِـحَـنِ

سَــفَـرِي بَـعـيـدٌ، وَزَادِي لَـنْ يُـبَـلِّـغَنِي   وَقُـوَّتِي ضَــعُـفَتْ، وَالصَّــبرُ يَـطْـلُبُنِي

ولي بـقـايـا ذنـوبٍ لســتُ أعـلـمُـهَـا   اللهُ يَعْلَمُهَا فِي الســـرِّ وَالـعَلَنِ

مَا أَحْـلَـمَ اللهَ عَـنِّـي حيـثُ يُـمْـهِـلُنِي   وَقَـدْ تمَـادَيْـتُ في ذَنْـبِـي وَيسْــتُرُنِي

تمَــرُّ سَــاعَــاتُ أَيَّــامِــي بِــلا نَــدَمِ   وَ لا بُـكـاءٍ و لا خَـوفٍ وَلا حَـزَنِ

أَنَـا الـذِي أغْـلـقَ الأبْـوَابَ مُجْـتَـهِـدًا   عَـلى المَـعَـاصِي وَعـينُ اللهِ تَـنْـظُـرُنِي

يَـا زَلَّـةً كُـتـبـتْ في غَـفْـلَـةٍ ذَهَـبَـتْ،   يَـا حَــسْـرَةً بَقِيَتْ في القَلْـبِ تحَرِقُنِي

دَعْـنِي أَنُـوحُ عَـلى نَفْــسِي وَأَنْدِبُها   وَأَقْـطَـعُ الـدَّهـرَ بِـالـتَّـذْكـيرِ وَالحَـزَنِ

دَعْ عَـنْكَ عَذْلِي يَا مَـنْ كانَ يَـعْذِلُنِي لَـو كُـنْتَ تَـعْـلَمُ مَا بِي كُنْتَ تَعْذِرُنِي

دَعْنِي أسُــحُّ دُمُوعًا لا انْقِطَاعَ لَها فَـهَلْ عَسَــى عَـبرَةٌ مِنْـهَا تُخَلِّصُــنِي؟

كَـأَنَّنِـي بَـينَ جُـلِّ الأهْـلِ مُـنْـطَـرِحٌ عَـلَى الـفِـرَاشِ وَأَيْـدِيهِـم تُـقَـلِّـبُـنِـي

وَقَـدْ تَجَـمَّـعَ حَـوْلِي مَـنْ يَـنُـوحُ وَمَـنْ يَـبْـكِـي عَـلَيَّ و يَـنْـعَـانِي وَيَـنْـدِبُـنِـي

وَقَـدْ أتَـوا بِـطَـبِـيـبٍ كَـي يُـعَـالِجَـنُـي وَلَمْ أرَ الـطِـبَّ هَـذَا الـيَـومَ يَـنْـفَـعُـنِـي

وَاسْـتَـخْـرَجَ الـرُّوحَ مِـنِّي فِي تَغَرْغُرِهَا وَصَــارَ رِيـقِي مَرِيـرًا حِينَ غَرْغَرَنِي

وَغَمَّضُــونِي وَراحَ الكُـلُّ وَانْصَــــــرَفُوا بَـعْدَ الإِياسِ، وَجَدُّوا فِي شِرَا الـكَفَنِ

وَقَامَ مَـنْ كانَ حِبَّ الـنَّاسِ فِي عَجَلٍ نَحْـوَ الْمُـغَسِّــلِ يَـأتِـيـنِـي يُـغَسِّــلُـنِـي

وَقَالَ يَا قَومُ نَبْغِي غَاسِــلًا حَذِقًـا حُـرًّا أدِيْـبًـا أرِيـبًـا عَـارِفًـا فَـطِـنِ

فَـجَـاءَنِي رَجُـلٌ مِـنْـهُـم فَـجَـرَّدَنِي مِــنَ الـثِّـيَـابِ، وَأعْـرَانِي وَأفْـرَدَنِي

وَأوْدَعُـونِي عَـلى الألْـوَاحِ مُـنْـطَـرِحٌ وَصَــارَ فَـوقِـي خَـرِيْـرُ المَاءِ يُـنْـظِـفُـنِي

وَأسْكَبَ الَماءَ مِنْ فَوقِي وَغَسَّلَنِي   غُسْلا ثَلاثًا وَنادَى القَومَ بِالْكَفَنِ

وألْبَسُونِي ثِيابًا لَا كِمَامَ لَهَا   وَصَارَ زَادِي حُنُوطِي حِينَ حَنَّطَنِي

وَأخْرَجُونِي مِنَ الدُّنْيَا فَوَا أسَفَا   عَلى رَحِيلٍ بِلا زَادٍ يُبَلِّغُنِي

وَحَمَّلُونِي عَلَى الأَكْتَافِ أرْبَعَةٌ   مِنَ الرِّجَالِ، وَخَلْفِي مَنْ يُشَيِّعُنِي

وَقَدَّمُونِي إلى المِحْرَابِ وَانْصَرَفُوا   خَلفَ الإِمَامِ، فَصَّلَّى ثُمَّ وَدَّعَنِي

صَلَّوا عَلَيَّ صَلاةً لَا رُكُوعَ لَهَا   وَلَا سُجودَ لَعَلَّ اللهَ يَرْحَمُنِي

وَأنْزَلُونِي إلَى قَبْرِي عَلَى مَهَلٍ   وَقَدَّمُوا وَاحِدًا مِنْهُم يُلَحِدُنِي

وَكَشَفَ الثَّوبَ عَنْ وَجْهِي لِيَنْظُرَنِي   وَأسْبَلَ الدَّمعَ مِنْ عَينيهِ أغْرَقَنِي

فَقَامَ مُحتَرِمًا بِالعَزْمِ مُشْتَمِلا   وَصَفَّفَ اللبْنَ مِنْ فَوْقِي وَفارَقَنِي

وَقَالَ: هِيْلُوا عَلَيهِ التُربَ وَاغْتَنِمُوا   حُسْنَ الثَّوابِ مِنَ الرَّحْمنِ ذِي المِنَنِ

فِي ظُلْمَةِ القَبْرِ لَا أمّ هُنَاكَ ولَا   أب شَفيقٌ، وَلا أخَ يُؤَانِسُنِي

وَهالَنِي صُورةٌ لِلْعينِ إذْ نَظَرَتْ   مِنْ هَولِ مَطْلَعِ مَا قَدْ كَانَ أدْهَشَنِي

مِـنْ مُـنْـكَـرٍ وَنَـكِـيرٍ مَـا أقُـولُ لَهُـم   قَد هَالَنِي أمْرُهُمْ جِدًّا فَأفْزَعَنِي

وَأقْـعَـدُونِي وَجَـدُّوا فِي سُـؤَالِهِـمِ   مَـا لِي سُـواكَ إِلَهِـي مَـنْ يُخَلِصُـنِـي؟

فـامـنـن عـليَّ بـعـفـوٍ مـنـك يـا أمـلي   فـإنـنـي مـوثـقٌ بـالـذنـبِ مـرتهـنِ

تَقَاسَـمَ الأهْلُ مَالِي بَعْدَمَا انْصَرَفُوا   وَصَـارَ وِزْرِي عَـلَى ظَـهْـرِي فَأَثْقَلَنِي

وَاسْـتَبْدَلَتْ زَوْجَـتِـي بَـعْلًا لَهَا بَدَلِي   وَحَـكَّـمَـتْـهُ عَـلى الأَمْـوالِ وَالسَّـكَـنِ

وَصَـيَّرَتْ وَلَـدِي عَـبْـدًا لِـيَـخْـدِمَـهُ   وَصَـارَ مَـالي لَهُـمْ حِـلًّا بِـلَا ثَـمَـنِ

فَـلا تَـغُـرَّنَّـكَ الـدُّنْـيَـا وَزِيـنَـتَـهَـا   وَانْـظُـرْ إلى فِـعْـلِـهَا بالأهْلِ وَالوَطَنِ

وَانْـظُـرْ إلى مَـنْ حَـوَى الـدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا   هَلْ رَاحَ مِـنْـهَا بِـغَـيرِ الحَنْطِ وَالكَفَنِ؟

خُذْ الـقَـنَاعَةَ مِـنْ دُنْيَاكَ، وَارْضَ بِهَا   لَـو لَمْ يَـكُـنْ لَـكَ إلَّا رَاحَـةُ الـبَـدَنِ

يَـا زَارِعَ الخَـيرِ تَحْصُـدْ بَـعْـدَهُ ثَـمَـرًا   يَا زَارِعَ الـشَّـرِّ مَوْقُوفٌ عَلَى الوَهَنِ

يَا نَـفْـسُ كُفِّي عَنِ الأَنْظَارِ، وَاكْتَسِبِي   فِـعْـلًا جَمِـيـلًا، لَـعَـلَّ اللهَ يَـرْحَمُـنِـي

يَا نَـفْـسُ وَيْحكِ تُوبِي، وَاعْمَلِي حَسَـنًـا   عَسَـى تُجَـازَيـنَ بَـعْدَ المَوْتِ بِالحَسَـنِ

وَالحَـمْـدُ للهِ مُمْسِـيـنـا وَمُصْـبِـحُـنَـا مَـا وَضَّـأ الـبَرَقُ فِي شَـامٍ وَفِي يَـمَـنِ

ثُـمَّ الصَّـلاةُ عَـلَىَ المُـخْـتَـارِ سَـيِّـدِنَـا بِـالخَـيرِ وَالـعَـفْـوِ وَالإحْسَـانِ وَالمِـنَـنِ

يـا حي يـا قيوم يـارب الأربـاب يا مشـــافي عقب المرض عبدك أيوب

ياناصر جيشك علي جيش الأحزاب يـامرجع يوســف علي ابوه يعقوب

قـاهر ومتكبر وغـافر تـواب غـالب وعبدك تحت رحمتك مغلوب

ســبحانك اللي يغفر ذنوب من تاب وتقول للعاصــي عن المعصــية توب

ما خـاب يا وهاب من جاك طلاب يـا غـافر الـذنوب انـا لي مطلوب

اجعل وفاتي بين مصحف ومحراب العمر يمضي واجل الانسـان محسوب

وارحم بيوم فيه تعذيب واحســـاب واللي عملته في الســجلات مكتوب

اليا ســكنت بوســط بيت بلا باب ولبســـت ثوب مـالـه اكمـام وجيوب

وتكلمت كل الجوارح والأعصـــاب تشـــهد علي مـا قد عملته من ذنوب

يـارب تجعل لي عن النـار مجنـاب الحفرة اللي وسـطها الضـوء مشـبوب

الفصل العاشر

الجَنَائِزُ

ما قاله ﷺ عن الجنائز، و صفة صلاة الجنازة على الرجل والمرأة، والدعاء للرجل الميت على قبره، و الدعاء للمرأة الميتة على قبرها.

الأحاديث الشريفة عن الجنائز:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها». قال حماد[1]: فذكر من طيب ريحها، وذكر المسك، قال: «ويقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قبل الأرض، صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه. فيُنطلق به إلى ربه عز وجل ثم يقول: انطلقوا به إلى آخر الأجل». قال: «وإن الكافر إذا خرجت روحه» ـ قال حماد: وذكر مِن نَتْنِهَا، وذكر لعنًا ـ «ويقول أهل السماء: روحٌ خبيثةٌ جاءت من قبل أهل الأرض». قال: «فيقال: انطلقوا[2] به إلى آخر الأجل».[3]

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتَنَّ أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»[4].

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله»[5].

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا صلّيتم علي الميت فأخلصوا له الدعاء»[6].

---

(١) هو حماد بن زيد راوي الحديث عن بديل بن ميسرة، عن عبد الله بن شفيق، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) المراد: انطلقوا بروح المؤمن إلى سدرة المنهى، وبروح الكافر إلى سجين.

(٣) (٣) أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٢٢، رقم الحديث (٢٨٧٢).

(٤) أخرجه مسلم ٤/ ٢٢٠٥، رقم الحديث (٢٨٧٧).

(٥) أخرجه مسلم٢/ ٦٣١، رقم الحديث (٩١٦).

(٦) أخرجه أبو داود ٥/ ١٠٩، رقم الحديث (٣١٩٩). وابن ماجه ١/ ٤٨٠، رقم الحديث (١٤٩٧).

– عن أبي هريرة ﷺ أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد[٣٤]– أو: شابًا – ففقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها – أو: عنه – فقالوا: مات. قال: « أفلا كنتم آذنتموني ؟». قال: فكأنهم صغروا أمرها – أو: أمره – فقال: «دلوني علي قبره». فدلوه، فصلى عليها، ثم قال: «إن هذه القبور مملوءة ظلمة علي أهلها، وإن الله ﷻ ينورها لهم بصلاتي عليهم»[٣٥].

– عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وان كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»[٣٦].

– عن أنس ﷺ قال: مروا بجنازة، فأثنوا عليها خيرًا، فقال النبي ﷺ: «وجبت». ثم مروا بأخرى،، فأثنوا عليها شرًّا، فقال النبي ﷺ: «وجبت». فقال عمر بن الخطاب ﷺ: ما وجبت؟ قال: «هذا أثنيتُم عليه خيرًا فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرًّا فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض»[٣٧].

– عن أبي قتادة ﷺ أن رسول الله ﷺ مُرَّ عليه بجنازة، فقال: «مستريحٌ ومُسْترَاحٌ منه». قالوا: يا رسول الله، ما المستريحُ والمستراح منه؟ قال: «العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب»[٣٨].

---

(٣٤) أي: تكنسه.

(٣٥) صحيح مسلم ٢/ ٦٩٥، رقم الحديث (٩٥٦).

(٣٦) أخرجه البخاري ٢/ ٩٩، حديث رقم (١٣٧٩). وصحيح مسلم ٤/ ٢١٩٩، حديث رقم (٢٨٦٦).

(٣٧) أخرجه البخاري ٢/ ٩٧، رقم الحديث (١٣٦٧)، ومسلم ٢/ ٦٥٥، رقم الحديث (٩٤٩).

(٣٨) أخرجه البخاري ٨/ ١٠٧، رقم الحديث (٦٥١٢)، ومسلم٢/ ٦٥٦، رقم الحديث (٩٥٠).

– عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ خطب يومًا، فذكر رجلًا من أصحابه قبض، فكُفن في كفن غير طائل، وقُبر ليلا، فزجر النبي ﷺ أن يُقبر الرجلُ بالليل حتى يُصَلّى عليه، إلا أنْ يضطر إنسانٌ لذلك، وقال النبي ﷺ: «إذا كَفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه»[39].

– عن عبد الله بن ثعلبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لقتلى أُحد: «زَمّلوهم بدمائهم، فإنه ليس كَلْمٌ[40] يُكْلَمُ في الله إلا يأتي يوم القيامة يدمى، لونه لون الدم، وريحه ريح المسك»[41].

– عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: مَرّت جنازةٌ فقام لها رسول الله ﷺ، وقمنا معه، فقلنا: يا رسول الله، إنها يهودية. فقال: «إن الموت فزع[42]، فإذا رأيتم جنازة فقوموا»[43].

– عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم الجنازة فقوموا، فمَنْ تَبِعَها فلا يقعد حتى تُوضع»[44].

– عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدموني. وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها: يا ويلها، أين يذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمع الإنسان لصعق»[45].

(٣٩) أخرجه مسلم ٢/ ٦٥١، رقم الحديث(٩٤٣).

(٤٠) أي: جرح.

(٤١) صحيح وضعيف سنن النسائي للألباني ٥/ ١٤٦ (٢٠٠٢)،٧/ ٢٢٠، (٣١٤٨) وصحيح الجامع الصغير ١/ ٦٦٨و (٣٥٧٣).

(٤٢) أي: ذو فزع وخوف وهول.

(٤٣) أخرجه مسلم ٢/ ٦٦٠، رقم الحديث(٩٦٠) واللفظ له.

(٤٤) أخرجه البخاري ٢/ ٨٥ (١٣١٠)، ومسلم ٢/ ٦٦٠ (٩٥٩).

(٤٥) أخرجه البخاري ٢/ ٨٦، رقم الحديث (١٣١٦).

- عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد جنازة حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان». قيل: وما القيراطان؟ قال: «مثل الجبلين العظيمين»[٤٦].

- قال ابن شهاب[٤٧]: قال سالم بن عبد الله بن عمر: وكان ابن عمر يصلي عليه ثم ينصرف، فلما بلغه حديث أبي هريرة قال: «لقد ضيعنا قراريط كثيرة»[٤٨].

- عن البراء بن عازب ﵁، قال: كنا مع رسول ﷺ في جنازة، فجلس على شفير القبر، فبكى حتى بلَّ الثرى، ثم قال: «يا إخواني، لمثل هذا فأعدُّوا»[٤٩].

- عن أم خالد بنت سعيد بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قالت: «سمعت النبي ﷺ يتعوّذُ مِن عذاب القبر»[٥٠].

- عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ قال: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] قال: «نزلت في عذاب القبر، فيقال له: مَنْ رَبُّك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي محمد ﷺ؛ فذلك قوله عز وجل: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۖ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]»[٥١].

---

(٤٦) السنن الصغرى للنسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط ٢، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م، ٤/ ٧٦، رقم الحديث (١٩٩٥).

(٤٧) ابن شهاب الزهري، راوي الحديث عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤٨) أخرجه مسلم ٢/ ٦٥٢، رقم الحديث (٩٤٥) واللفظ له.

(٤٩) أخرجه أحمد(١٨٦٠١)، وابن ماجه(٤١٩٥) واللفظ له، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٥٤٧).

(٥٠) أخرجه البخاري ٨/ ٧٨، رقم الحديث (٦٣٦٤).

(٥١) أخرجه البخاري ٢/ ٩٨، رقم الحديث (١٣٦٩)، ومسلم ٤/ ٢٢٠١، رقم الحديث(٢٨٧١) واللفظ له.

- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[٥٢].

- عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - قالت: قام رسول الله ﷺ فذكر الفتنة التي يُفْتن بها المرء في قبره، فلما ذكر ذلك ضجَّ المسلمون ضجّةً حالت بيني وبين أنْ أفهمَ كلام رسول الله ﷺ، فلما سكنت ضجتهم قلتُ لرجل قريب مني: أي، بارك الله لك، ماذا قال رسول الله ﷺ آخر قوله؟ قال: قال: «قد أوحي إليّ أنكم تفتنون في القبور قريبًا من فتنة الدجال»[٥٣].

- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة، فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنّا قد رأينا إخواننا». قالوا: أو لسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد...»[٥٤].

- عن هشام بن عامر - رضي الله عنهما - قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ يوم أُحد، فقلنا: يا رسول الله، الحفر علينا لكل إنسان شديد. فقال رسول الله ﷺ: «احفروا، وأعمقوا، وأحسنوا، وادفنوا الاثنين والثلاثة في قبر واحد». قالوا فمَنْ نُقدّمَ يا رسول الله؟ قال: «قدموا أكثرهم قرآنا». قال: فكان أبي ثالث ثلاثة في قبر واحد[٥٥].

- عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدَّموا»[٥٦].

---

(٥٢) أخرجه مسلم ٣/ ١٢٥٥، حديث رقم(١٦٣١).

(٥٣) سنن النسائي ٤/ ١٠٣، رقم الحديث (٢٠٦٢) واللفظ له.

(٥٤) أخرجه مسلم ١/ ٢١٨، رقم الحديث(٢٤٩).

(٥٥) أخرجه أبو داود (٣٢١٥)، والترمذي (١٧١٣) وقال: حسن صحيح، والنسائي (٢٠١٠، ٢٠١٦) واللفظ له.

(٥٦) أخرجه البخاري ٢/ ١٠٤، رقم الحديث (١٣٩٣).

– عن معاذ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مُسْلِمَيْن يُتوفى لهما ثلاثة إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته إياهما». فقالوا: يا رسول الله، أو اثنان؟ قال: «أو اثنان». قالوا: أو واحد؟ قال: «أو واحد». ثم قال: «والذي نفسي بيده، إن السّقط ليجرُّ أمه بسرره إلى الجنة إذا احتسبتْه»[٥٧].

– عن أبي موسي الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ولد العبد المؤمن قال الله للملائكة: قبضتُم ولدَ عبدي؟ قالوا: نعم. قال: قبضتُم ثمرةَ فؤادِهِ؟ قالوا: نعم. قال: فما قال؟ قالوا: استرجعَ وحمدَك. قال: ابنوا له بيتًا في الجنةِ، وسموه بيت الحمد»[٥٨].

– عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما حُضرت بنتٌ لرسول الله ﷺ صغيرة، فأخذها رسول الله ﷺ، فضمَّها إلى صدره، ثم وضع يدَه عليها فقضت وهي بين يدي رسول الله ﷺ، فبكت أمُّ أيمن، فقال لها رسول الله ﷺ: «يا أم أيمن، أتبكين ورسول الله ﷺ عندك؟». فقالت: مالي لا أبكي، ورسول الله ﷺ يبكي. فقال رسول الله ﷺ: «إني لست أبكي، ولكنها رحمة». ثم قال رسول الله ﷺ: «المؤمن بخير على كل حال، تنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله عز وجل»[٥٩].

– عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منّا مَنْ ضربَ الخدود، وشقَّ الجيوبَ[٦٠]، ودعا بدعوى الجاهلية».[٦١]

****

(٥٧) أخرجه أحمد (٢٢٠٩٠) واللفظ له، وعبد بن حميد (١٢٣)، وابن ماجه (١٦٠٩) مقتصرًا على جملة السقط.

(٥٨) أخرجه الطيالسي ـ (٥٠٨)، وأحمد (١٩٧٢٥، ١٩٧٢٦)، وعبد بن حميد (٥٥١)، والترمذي (١٠٢١) وقال: حسن غريب، وابن حبان (٢٩٤٨) واللفظ له، والبيهقي (٤/ ٦٨)، وفي شعب الإيمان (٩٦٩٩، ٩٧٠٠).

(٥٩) أخرجه أحمد (٢٤١٢، ٢٧٠٥)، وعبد بن حميد (٥٩٣)، والنسائي (١٨٤٣) واللفظ له.

وأخرج احمد (٨٤٩٢، ٨٧٣١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٤٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه نحوه.

(٦٠) أي: شقه من مدخل الرأس إلى أسفل الثياب، اعتراضًا وسخطًا.

(٦١) أخرجه البخاري (١٢٩٧) واللفظ له، ومسلم (١٠٣).

صفة صلاة الجنازة على الرجل والمرأة:

حكمها:

صلاة الجنازة فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين.

ولا ينبغي الصلاة على الجنازة في الأوقات المنهي عنها كما جاء في الحديث: عن عقبة بن عامر قال: «ثلاث ساعات كان رسول الله ﷺ ينهانا أنْ نصليَ فيهن أو نقبر فيهن موتانا: حين تطلع الشمس بازغة حتى ترفع، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس، وحين تضيف للغروب حتى تغرب».

كيفية صلاة الجنازة:

- يُسَنُّ أن يقوم الإمامُ عند رأس الرجل، وعند وسط المرأة لفعله ﷺ.
- السُّنَّةُ أنْ يتقدم الإمامُ على المأمومين، ولكن إذا لم يجد بعض المأمومين مكانًا فإنهم يصفون عن يمينه وعن يساره.
- يُكَبِّرُ الإمام أربع تكبيرات؛ يقرأ بعد التكبيرة الأولى بعد أن يتعوذ الفاتحة، وما تيسر من القرآن ويفضل سورة العصر، وبعد التكبيرة الثانية يصلي على النبي ﷺ كما يفعل في التشهد الأخير فيقول: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»، ثم بعد التكبيرة الثالثة يدعو للميت بما وردَ من أدعية ويخلص له الدعاء، مثل: «اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه، وأكرم نُزلَه، ووسّعْ مُدْخله، وغسّلْه بالماء والثلج والبرد، ونَقِّه من الخطايا كما يُنَقّى الثوب الأبيض من الدنس، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار....إلخ)، ثم بعد التكبيرة الرابعة يقول: «اللهم اغفر لنا وله ولا تفتنا بعده، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة

وقنا عذاب النار، اللهم اغفر لحينا وميتنا، وحاضرنا وغائبنا»، ويُسَلّم عن يمينه تسليمةً واحدة لفعله صلى الله عليه وآله وسلم، ويجوز له أن يسلم تسليمة ثانية عن يساره.

الدعاء للرجل الميت على قبره:

بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه: قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الجمعة، الآية: ٨].

وقال تعالى: ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴾ [ق، الآية: ١٩].

وقال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ [آل عمران، الآية: ١٨٥].

فالحمد لله الذي خلقَ الموتَ والحياة ليبلوكم أيُّكم أحسن عملا، والحمد لله الذي جعل الموت حقًّا والجنة حقًّا والنار حقًّا؛ وقد قال النبي ﷺ :«استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل"[رواه أبو داوود (٣٢٢١)]. وقد أوصي عمرو بن العاص رضي الله عنه عند موته، فقال: «فإذا أنا متُّ فلا تصحبني نائحة، ولا نار، فإذا دفنتموني فشنّوا عليّ التراب شنًّا، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تُنحر جزور، ويُقسم لحمُها، حتى أستأنسَ بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي». وقال ﷺ: «أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض ».

((مجموعة أدعية للرجل الميّتِ))

«يا ودودُ يا ودودُ، يا ذا العرش المجيد، يا مبدئ يا معيد، يا فعالٌ لما يريد، نسألك بنور وجهك الذي ملأَ أركانَ عرشِك، ونسألك بقدرتك التي قدرتَ بها على جميع خلقك، ونسألك برحمتك التي وسعت كل شيء، لا إله إلا أنت يا مغيث. اللهم اغفر لحيّنا وميّتنا وحاضرِنا وغائبِنا ووالدينا والمسلمين كافة. اللَّهُم مَنْ توفيته منهم فتوفه على الإيمان، ومَن أبقيته منهم فأبقه على الإسلام. اللهم إن هذا عبدك قد تخلى من الدنيا، وتركَها لأهلِها، وافتقر إليك، وكان يشهدُ أَنْ لا إله إلا أنت، وأن محمدًا عبدُك ورسولُك، فاغفر له وارحمه وتجاوز عنه.

اللهم إنه قد نزل بك اليوم، وأنت خير منزول به، فاغفر له ذنبَه فإنا لا نعلم منه إلا خيرًا وأنت أعلمُ به. اللهم إنك قد هديتَه للإسلام، وجعلته من أمة محمد ﷺ، وأنتَ قبضتَ رُوحه وأنت أعلمُ بسريرتِه وعلانيته، جئنا شفعاءَ له. اللهم إنا نستجير بحبل جوارك له، فإن رحمتك واسعة، اللهم إنْ كان محسنًا فزد في إحسانه، وإنْ كان مسيئًا فتجاوز عن سيئاته، اللهم نَوّرْ له قبرَه، وألحقْه بنبيه.

اللهم عافه واعفُ عنه، وأكرم نزله ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقّه مِن الخطايا كما يُنَقّى الثوبُ الأبيض من الدنس، وأَبْدِلْه دارًا خيرًا من داره، وأهلًا خيرًا من أهله، وزوجًا خيرًا من زوجه.. اللهم اغفر له كما أستغفرَك، وأعطه ما سألك، وزده من فضلك، وارفع درجته في المهديين، واجعل كتابه في عليين. اللهم أنت ربُّنا وربُّه، خلقتَه ورزقتَه وأحييته وكفيته، فاغفر له، وافتح له أبواب السماء لروحه، وتقبل منه بقبول حسن. اللهم اغفر لهذه النفس الحنيفة المسلمة، واجعلها من الذين تابوا واتبعوا سبيلك، وقها عذاب الجحيم. اللهم اردُدْهُ إلى خير مما كان فيه،

واجعل اليوم خيرَ يوم جاء عليه، اللهم عظّم له أجره، وأفسح له في قبره، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده. اللهم إننا قد أتينا مِن كل حدبٍ وصوبٍ لدفن مَنْ عاش بين أظهرنا وقد شهد لك بالوحدانية ولنبيك بالرسالة، ونحن شهودُكَ في أرضك، فإننا نحسبُه وأنت حسيبُه خير من قدم من أعمال الخير، ونشهد له أنه كان على خير واستقامة، اللهم فاقبل شفاعتنا فيه وقد أتاك مخلّفًا الأولاد والأحباب والأهل والأصحاب، قادمًا إلى وجهك الكريم، فاغفر له وارحمه ووسع مدخله وآنس وحشته وثبته عند السؤال، وارفعه من ضيق اللحود ومرتع الدود إلى جناتك جنات الخلود يا رحيم يا ودود.

اللهم أنزله منزلةَ الشهداء، واجعل قبره روضةً من رياض الجنة، ولا تجعلْه حفرةً مِن حُفرِ النّارِ برحمتك يا عزيز يا غفار. اللهمَّ يَسّرْ له الحسابَ، وارفع عنه العقاب والعذاب، اللهم نزلَ بجوارك فأجره من عذاب القبر، يا مَنْ يُجير ولا يجار عليه، أَجِرْهُ اللهم من عذاب القبر وَضيقِه، اللهم ثبّتْه، اللهم، ثبته اللهم ثبته.

اللهم إنّا نستغفرُك له، اللهم إنا نستغفرك له، اللهم إنا نستغفرك له فاغفر له وارحمه. اللهم أَلْهِم أهله وذويه الصبرَ والسلوان، واربط على قلوبهم، وأبدل حبهم صبرًا وإيمانًا ويقينًا، وأعنهم على الدعاء له والصدقة. اللهم اغفر لنا وله ولِمَنْ حضر هذه الجنازة أو صلى عليها أو من دعا لها ومن قال آمين، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين».

((مجموعة أدعية للمرأة الميتةِ))

«يا ودود يا ودود، يا ذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد يا فعالٌ لما يريد، نسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك ونسألك بقدرتك التي قدرت بها على جميع خلقك ونسألك برحمتك التي وسعت كل شيء، لا إله إلا أنت يا مغيث. اللهم اغفر لحينا وميتنا وحاضرنا وغائبنا ووالدينا والمسلمين كافة، اللهم من توفيته منهم فتوفه على الإيمان، ومن أبقيته منهم فأبقه على الإسلام. اللهم إن أمتك قد تخلت من الدنيا، وتركتها لأهلها، وافتقرت إليك، وكانت تشهد أن لا إله إلا أنت، وأن محمدًا عبدك ورسولك، فاغفر لها وارحمها وتجاوز عنها.

اللهم إنها قد نزلت بك اليوم، وأنت خير منزول به، فاغفر لها ذنبها فإنا لا نعلم منها إلا خيرًا وأنت أعلم بها. اللهم إنك قد هديتها للإسلام، وجعلتها من أمة محمد ﷺ، وأنت قبضت روحها، وأنت أعلم بسريرتها وعلانيتها، جئنا شفعاء لها، اللهم إنا نستجير بحبل جوارك لها، فإن رحمتك واسعة، اللهم إن كانت محسنة فزد في إحسانها، وإن كانت مسيئة فتجاوز عن سيئاتها، اللهم نور لها قبرها، وألحقها بنبيها.

اللهم عافها واعف عنها وأكرم نزلها ووسع مدخلها، واغسلها بالماء والثلج والبرد، ونقها من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدلها دارًا خيرًا من دارها، وأهلًا خيرًا من أهلها، وزوجًا خيرًا من زوجها.. اللهم اغفر لها كما استغفرتك، وأعطها ما سألتك، وزدها من فضلك. وارفع درجتها في المهديين، واجعل كتابها في عليين. اللهم أنت ربنا وربها، خلقتها ورزقتها وأحييتها وكفيتها، فاغفر لها، وافتح لها أبواب السماء لروحها، وتقبل منها بقبول حسن. اللهم اغفر لهذه النفس الحنيفة المسلمة، واجعلها من الذين تابوا واتبعوا سبيلك، وقها عذاب الجحيم. اللهم أرددها إلى خير مما كانت فيه، واجعل اليوم خير يوم جاء عليها، اللهم عظّم لها أجرها، وأفسح لها في قبرها،

اللهم لا تحرمنا أجرها، ولا تفتنا بعدها. اللهم إننا قد أتينا من كل حدب وصوب لدفن من عاشت بين أظهرنا وقد شهدت لك بالوحدانية ولنبيك بالرسالة، ونحن شهودك في أرضك، فإننا نحسبها وأنت حسيبها خير من قدمت من أعمال الخير ونشهد لها أنها كانت على خير واستقامة، اللهم فاقبل شفاعتنا فيها وقد أتتك مخلفة الأولاد والأحباب والأهل والأصحاب قادمة إلى وجهك الكريم فاغفر لها وارحمها ووسع مدخلها وآنس وحشتها وثبتها عند السؤال وارفعها من ضيق اللحود ومرتع الدود إلى جناتك جنات الخلود يا رحيم يا ودود.

اللهم أنزلها منزلة الشهداء واجعل قبرها روضة من رياض الجنة ولا تجعله حفرة من حفر النار برحمتك يا عزيز يا غفار. اللهم يسر لها الحساب وارفع عنها العقاب والعذاب. اللهم نزلت بجوارك فأجرها من عذاب القبر يا من يجير ولا يجار عليه، اللهم ثبتها اللهم ثبتها اللهم ثبتها، اللهم إنا نستغفرك لها اللهم إنا نستغفرك لها اللهم إنا نستغفرك لها فاغفر لها وارحمها. اللهم ألهم أهلها وذويها الصبر والسلوان واربط على قلوبهم وأبدل حبهم صبرًا وإيمانًا ويقينًا وأعنهم على الدعاء لها والصدقة. اللهم اغفر لنا ولها ولمن حضر هذه الجنازة أو صلى عليها أو من دعا لها ومن قال آمين. وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين».

تَمَّ والحمد لله مغير الأحوال من حال إلى حال، له المُلك في السموات والأرض وما بينهما، المعطى المميت، الواحد الفرد الصمد، لا إله غيره، ولا معبود سواه، كل شيء عنده بمقدار، وصَلّى الله على نبينا محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والرسل، الذي أُعطى الخمس في الدنيا والآخرة. اللهم اجْبُرْنَا عما أصابنا، واجْبُرْ مَنْ أصابَه مثل ما أصابَنا من المسلمين.



المصادر والمراجع

أ- المصادر العربية:

ـــــ البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) السنن الصغير تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي ـ باكستان، ط ١، ١٤١٠هـ -١٩٨٩م، ٢/ ٢٩(١١٢٣).

ـــــ ابن ماجه (المتوفى: ٢٧٣هـ): سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ١/ ٥١١، رقم الحديث (١٦٠٢).

ـــــ الترمذي (المتوفى: ٢٧٩هـ): سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨ م، ٢/ ٣٧٨، رقم الحديث ١٠٧٦.

ـــــ أحمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ): مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ -٢٠٠١م، ٤٤/ ٢٤٧، رقم الحديث (٢٦٦٣٥).

ـــــ الألباني: (المتوفى: ١٤٢٠هـ) ضعيف الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، ١/ ٢٩١، رقم الحديث ٢٠٠٩، حكم الألباني: ضعيف.

ـــــ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري: (المتوفى: ٢٦١هـ) صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٤/ ٢٢٩٥، رقم الحديث (٢٩٩٩).

ـــــ أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، ١/ ٢٣٠، رقم الحديث (٩٨٨).

ـــ الطبراني: (المتوفى: ٣٦٠هـ) المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢، ٢٢/ ٣١٨، رقم الحديث (٨٠١).

ـــ البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ. ٢/ ١٢٢، رقم الحديث (١٤٦٩).

ـــ أبو داود، سليمان بن الأشعث المتوفى ٢٧٥ هـ: سنن أبي داود، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل قره بلي ، دار الرسالة العلمية، بيروت، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩

ـ الشريف الجرجاني: التعريفات، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، ١/ ١٣١.

ـ عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية، تحقيق د. عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة ١/ ٣٢٥-٣٢٨.

ـ ابن قيم الجوزية المتوفى ٧٥١ هـ: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، دار ابن كثير، دمشق، ط٣، ١٤٠٩هـ، ١/ ٣٦.

ـ ابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ) : الصبر والثواب عليه ، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٨ هـ -١٩٩٧م، ١/ ١٠٦.

ـ ابن ناصر الدمشقي المتوفى ٨٤٣هـ: برد الأكباد عند فقد الأولاد، تقديم الشيخ عبد القادر شيبة الحمد، د.د.ن ، ١٤٠٠هـ

- الحاكم (المتوفى: ٤٠٥هـ): المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ –١٩٩٠م

ـ أبو داود السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) كتاب الزهد، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم وقدم له وراجعه: فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف، دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، ط١، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.

ـــــ الثعلبي المتوفى ٤٢٧ هـــــ (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ

ـ الإبشيهي: المستطرف في كل فنٍّ مستظرف ، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
ــــــ الألباني: صحيح وضعيف سنن النسائي ٥/ ١٤٦ (٢٠٠٢)،٧/ ٢٢٠، (٣١٤٨) وصحيح الجامع الصغير ١/ ٦٦٨و (٣٥٧٣).
ــــــ النسائي: السنن الصغرى ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط ٢، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م، ٤/ ٧٦
ــــــ المبرد: (المتوفى ٢٨٥هـــ)، التعازي والمراثي، تحقيق إبراهيم محمد حسن الجمل، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ١/ ٧٧.
ـ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر -بيروت، ج٣/ ٢٥٧.
ــــــ أحمد بن حنبل: الزهد: وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ١/ ٢٤٣
ــــــ ابن الخراط (المتوفى: ٥٨١هـــ):العاقبة في ذكر الموت ، تحقيق خضـــر محمد خضر، مكتبة دار الأقصى – الكويت، ط١، ١٤٠٦ هـ– ١٩٨٦م، ١/ ١٥٥.
ـ ابن قتيبة الدينوري : عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ،٢/ ٣٤٠.
ـ المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ): نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر- بيروت - ج٤/ ٤٨٧.
ــــــ الذهبي: (المتوفى: ٧٤٨هـــ): سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م، ٤/ ١٠٥.
ـ الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ٣/ ٩٧
ـ البيهقي(المتوفى: ٤٥٨هـ): السنن الكبرى ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، ط٣، ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣ م، ٣/ ٥٢٦.

ـــــــ المعافى بن زكريا: الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٢٦ هـ –٢٠٠٥ م، ١/ ٩٥

ـــــــ أحمد الهاشـمي: جواهر الأدب في أدبيات وإنشـاء لغة العرب، المكتبة التجارية الكبرى،٢ القاهرة، ١٩٦٩

ـــ بهاء الدين زهير: ديوان بهاء الدين زهير، دار صادر، بيروت،١٩٦٤

ب ـ المحاضرات الصوتية:

ـــ محاضرة صوتية لفضيلة الشيخ علي بن عبد الخالق القرني، بعنوان: كشف الكربة عند فقد الأحبة.

الفهرس

الموضوع الصفحة

علي بن سعد آل زحيفة الشهراني الخثعمي

a-s-z70@hotmail.com

السعودية/ خميس شهران

ص.ب ٧٧٦ – الرمز البريدي ٦١٩٦١